

روايات مصرية للجيب

مغامرات



قضية الفواصة المحترقة

سلسلة القاز بوليسية مثيرة للخيال



٢ × ٤

٣٧



www.hilal.com/vb

www.hilal.com/vb3

رياحين

مساء ع * أدات

سلسلة الفاز بوليسية مشهورة للمصائب
نسطه العقيل ونمن الفكر و الذكاء ..



الزائف



د. ليل فاروق

قضية الفواصة المخرقة

- امرأة عربية انتحلت
- عملاء (د. مساء) (د. ليل)
- الضمير (الفروخ)
- (الإسكندرية) ، وهناك
- أدلة واضحة على وجود
- جاسوس ، بين قصة قضية
- فيم ضمن طاعتها ..
- من يكون ؟ .. ولماذا أقدم
- على فعلته ؟
- قضية جديدة تواجه (عصام
- كامل) (د. عادل محمود) ،
- ليزي .. ماذا يفعلان في
- مواجهة ذلك الجاسوس
- المصائب ، حل قضية
- (الفواصة المخرقة) ؟

الهيئة العربية للدراسات
التيوريات والدراسات
التيوريات والدراسات

٢ × ٤

سلسلة الأغاز بوليسية ، تجمع ما بين
الغموض والإشارة والحركة ،
وتسبح بنا . في كل مرة . في عالم
جديد ، يسعى كل أبطاله . على
اختلاف ألوانهم - إلى مكافحة
الجريمة ، والسعى إلى تحقيق
العدالة ، وجميعهم يحملون شعاراً
واحداً .. شعار (٢ × ٤)

د. نبيل فاروق

١ — النيران ..

ساد هدوء عجيب ، في تلك الليلة من ليالى (نوفمبر) ،
حيث بدا الجو دافئاً ، بخلاف المتوقع ، في هذا الوقت من
العام ، وأطل القمر ، من خلف بعض السحب المتناثرة ،
ليلقى ضوءه الفضى ، على ميناء (رأس النين) الحرقى ، حيث
استقرت غواصة ساكنة ، إلى جوار رصيف الميناء ، أشارت
الأصوات المتبعثة منها إلى نشاط يجري داخلها ، استعداداً
لاستراكتها في المناورة البحرية التقليدية ، التي تسهم فيها كل
قطع القوات البحرية تقريباً ، كل حريق ..
وعلى رصيف الميناء ، كان مهندس الغواصة ، المقدم
(محمد يسرى) يتجه نحوها ، وهو يتبادل حديثاً مرخاً مع
أحد زملائه ، قائلاً :

— لست أدري لم تصر تلك (البطة العجوز) على التعطل
كلّما خان موعد مناورة الحريق .. يبدو أنها قد صارت أقيـل
إلى الكسل .

كان قد اعتاد إطلاق اسم « البطة المعجوز » ، على
غواصه ، التي بدأ العمل عليها ، وهو بعد ملازم ثان ، إثر
تخرجه من الكلية الفنية العسكرية ، والتحاقه بالأكاديمية
البحرية ، ثم بسلاح الغواصات ، وعلى الرغم من أن زميله قد
سمعه يتحدث عنها بذلك اللقب ، منذ تزاملا في الغواصة ، إلا
أنه انقسم ، قائلًا :

— يبدو أنها لم تعد تصلح للمناورة .. ما رأيك أن نذبها ؟

ضحك (يسرى) ، وهو يقول :

— لم يكن أجلها بعد يا صديقي .

انطلق الاثنان إلى سطح الغواصة ، وصعدا إلى نرجها ،

وسأل الملقم (يسرى) أحد جنود الغواصة ، وهو بسيط
إليها :

— ماذا هناك ؟

أجابته الجندی :

— يبدو أنه عطل في التوربينات الخلفية يا سيدي .

عقد (يسرى) حاجبيه ، وهو يفهم :

— عجبًا !! .. لقد فحصت ذلك الجزء بالذات أمس ،

وكان يعمل على نحو جيد ..

انقسم زميله الملقم (مختار) ، وهو يقول :

— أنسيت أنها بطة معجوز يا صديقي ؟

هو (يسرى) كتفيه ، قائلًا :

— ليس إلى هذا الحد .

التجها معًا نحو حجرة التوربينات الخلفية ، و (يسرى)

يستعرد :

— أنعلم يا صديقي ، لو أننا في حالة حرب ، لشككت

فيما أصاب تلك (البطة المعجوز) ، فصحيح أنها تبلغ من

العمر خمسة عشر عامًا ، إلا أنها ما تزال بصحة جيدة .

انقسم (مختار) ، وهو يقول :

— إنها تكفي لإغراق مدفئة معادية على الأقل .

هتف (يسرى) في حماس :

بل خمس مدفئات .. إنني أمنح تلك (البطة المعجوز)

عناية خاصة ، تفوق ما تحصل عليه باقي غواصاتنا مجتمعة ،

والجميع يعلمون أنها أكثر قطعنا البحرية ، وأقواها ،

وأخطرها .

رفع (مختار) حاجبيه ، في دهشة مصطنعة ، وهو يتلف :

— إلى هذا الحد .

انقسم (يُسرى) ، وهو يقول :

— أيها الخبيث .. أنت تعلم أنني على حق .

تشارك في ضحكة مرحة ، انتهت مع وصولهما إلى حجرة التوربينات الحلقية ، حيث اكتسبت ملاحظتهما على الفور بالجلدية ، وانهمكا مفيا في فحص الحركات ، والآلات ، واستغرقتهما ذلك في شدة ، تشف عن مهارتهما ، وإخلاصهما ، وخسب خبرتهما وبراعتهما كمهندسين في سلاح البحرية المصرية ، وعن خُبهما الخاص لتلك (البطة العجوز) ، التي صارت لهما كالآدم الرغوم ..

وبعد ربع ساعة نظريًا ، غمغم (يُسرى) في تولر :

— اللعنة !

رفع (مختار) عينيه إليه ، وسأله في قلق واهتمام :

— ماذا هناك ؟

أشار (يُسرى) إلى جزء من أجزاء أحد المحركات ، قائلاً :

في قلق :

— هذا الجزء يبدو كما لو أنه قد انتزع بفعل فاعل ، فمن

المستحيل أن يدور حول نفسه هكذا ، دون جهد كبير .

مال (مختار) نحو ذلك الجزء ، يفحصه في اهتمام ، وغمغم

في تولر :

— يبدو أن أحدهم قد انتزعه لغرض ما ، ثم أعاده إلى

مكانه دون إحكام .

هتف (يُسرى) في انفعال :

— السؤال هو لماذا ؟

وراح يدير ذلك الجزء في اهتمام بالغ ، وقد تولاه مزيج من

القلق والشك ، إلى أن هتف فجأة :

— (مختار) .. هناك جسم ما ، أسفل ذلك الجزء .

خفق قلب (مختار) في قوة ، وهو يقول :

— جسم ما ؟ .. أي جسم هذا ؟

هتف (يُسرى) :

— ليست أدري .. إنه يبدو كما لو كان ..

بتر عبارته بغتة ، وكأنها بحث عن تشبيه مناسب ، ثم لم

يلت أن قال في انفعال :

— سأخرج من مكانه ، حتى ولو فككت تلك الآلة قطعة

قطعة .

واندفع إلى وكن حجرة التوربينات الحلقية ، ليحضر

أدوات العمل ، على حين أدار (مختار) ذلك الجزء من الآلة في

قوة ، وهو يقول :

— ربّما أمكننا أن

قبل أن يتم عبارته ، استسلم له ذلك الجزء ، وانزعجه هو من مكانه ، فهدف :

— لقد نزعته يا (يسرى) .

التفت إليه (يسرى) ، وهو يهتف في لفقة :
— حقاً ؟

مال (مختار) نحو الفراغ ، الذى نشأ من التزاع الجزء ،
وهو يقول :

— هناك جسم أسود ، أشبه بمحارزى مستطيلات .

أسرع (يسرى) نحوه هائفاً :

— يا إلهى !! .. أين الممكن أن ؟
قاطعه صيحة دُعر من (مختار) ، وهو يتراجع صارخاً :

— اجعد يا (يسرى) .. إنها قب

وهنا دوى الانفجار ..

وانشعلت النيران في العواصة ..



٢ — الجحيم ..

اندفع (يسرى) إثر الانفجار ، وشعر بجسده يرتطم
بجدار حجرة التوربينات الحلقية ، وبأعثرات والآلات ، قبل
أن يسقط أرضاً ، ويهتف في جزع :

— (مختار) .. أين أنت ؟

نهض في دُعر ، وفوجئ بنفسه وسط أنون مشعل ..
كانت النيران تحيط به من كل جانب ، والأدخنة تكاد
تخنقه ، ولم يكن هناك أى أثر لـ (مختار) ، إلا أن (يسرى)
راح يصرخ :

— (مختار) .. أين أنت ؟

رأى النيران تندفع نحوه في سرعة ، وأيقن من أن زميله
وصديق عمره قد لقي حتفه ، وأنه من المستحيل إلقائه ،
وسط ذلك الجحيم ، فراجع هو في ألم ودُعر ، وتلفت بعينه
حواله ، حتى لمح كُوة نجاة ، فاندفع نحوها ، وشعر بالنيران
تلفح جاتب وجهه ، ونشعل في جزء من سترته ، إلا أنه

لجأ إليها ثامنا ، وأمسك بمقبض الكؤزة ، ليفتحها ، ولم يكد يفعل
حتى صرخ في ألم ، فقد كانت درجة حرارة مقبض الكؤزة
كالتيران ، حتى لقد بداله أنه قد قبض على حجر مشعل ، فأسرع
بنتزع سترته ، وبمسك بها مقبض الكؤزة ، ويفتحها في قوة ، ثم
لفز خارج الحجرة ، في الوقت الذي سيطرت عليها فيه التياران
ثامنا ..

كان يفوق أن يصل إلى منطقة آمنة ، إلا أنه فوجئ بالتيران
لألا الممرات ، وانفطر في كل مكان ، وتناهى إلى مسامعه
صراخ الجنود ، الذين بالغتهم التياران ، وهم يعدون الفؤاصة
لمارورة الغد ..

واندفع (يسرى) غيّر الممرات المتصلة أمامه ، وبداله أنه
كان يحرق التياران في بعض المواقع ، حتى بلغ حجرة القيادة ،
فراح يضغط بعض الأزرار ، محاولاً فتح خزانات المياه في
الفؤاصة ، لإطفاء التياران ، إلا أن الأزرار أثبت أن تسجيبي ،
فصحل عن محاولته ، وتحلّى إليه ، وهو يعدو نحو البرج ، أنه
الوحيد الذي يبقى على قيد الحياة ، وسط ذلك الجحيم ، إذ
أنه ، باستثناء فرقة التياران ، كانت الفؤاصة ساكنة صامتة
ثامنا ، وقد تولّف الصراخ والأنين ..



وأخيراً .. وبعد دقائق بدت له كالدهر ، وجد (يسرى)
نفسه أعلى برج الغواصة ، وسمع صفارات الخطر ، التي تنطلق
في قوة ، في كل أرجاء الميناء المحرق ، وشاهد سيارات
الإطفاء ، ومئات من الجنود فوق رصيف الميناء ، تصرخ وهو
يقفز إلى سطح الغواصة :

— أغرقوها الغواصة .. أغرقوها .. هذا هو السيل
الوحيد .. أغرقوها قبل أن تنفجر .

رأى ثلاثة جنود يتدفعون نحوه ، وهم يحملون ملاءة
كبيرة ، وفوجئ بهم يحيطون جسده بها ، وثبّه فجأة إلى أن
التوان كانت تشتعل في قميصه ، إلا أنه لم يبال ، وهو يواصل
صرخه :

— أغرقوها قبل فوات الأوان .

هله الجنود إلى رصيف الميناء في سرعة ، ووجد نفسه إلى
جوار عشرة جنود ، أصابهم بعض الحروق ، وسمع صوت
نوق قوي ، يأتي من قلب البحر ، فأدار عييه إليه ، ورأى
ذلك الوثش البحري العملاق ، الذي يُطلق عليه رجال
البحرية اسم (الوثش الجبار) ، وهو يقترب من الغواصة ،
ورأى سلسلة الضخمة تمسك برجها ، ثم تجذبه إليها في
قوة ..

وعغمغم (يسرى) في هالكت :

— أغرقوها ..

ومالت الغواصة على جانبها ، بفعل الشدّ الرهيب للوثش
الجبار ، حتى اندفعت مياه البحر داخل فتحة برجها ،
وأخذت تملؤها في سرعة ..

وبدأت (البطة المعجوز) في الغوص ، وكثمة هائلة من
الأنخرة تتصاعد من فتحة برجها ..

وغرقت (البطة المعجوز) ..

غرقت في أعماق ميناء رأس التين المحرق ..

وهنا عاد الهدوء والسكون بسودان المكان على نحو
مباغت ..

كان الجميع صامتين ، يحدقون في موقع غرق الغواصة في
ذهول ، غير مصدّقين ما حدث ..

وفي غرفة السكون والصمت ، ارتفع صوت (يسرى)
بغثة ، وهو يقول :

— إنه ليس حادثاً عرضياً .

التفت إليه الجميع في ذهول ، وهتف به قائلة الميناء
(الوثشجي):

— ماذا تقول أيها المقدم ؟

أجاب (يسرى) في صلابه وعناد :

— الحقيقة يا سيدى .. هذا الحريق لم يكن عرضيًا .. لقد

حدث بفعل فاعل .

ثم أدار ذراعه حوله ، صائحا في غضب :

— هناك خائن هنا .

صاح قائد القاعدة في دُعر :

— أتدري ما الذى يقنيه قولك هذا ، أيها اللهب ؟

صرخ (يسرى) في ثورة :

— نعم .. هناك خائن .. هناك خائن .

وفجأة ، وبلا مقدمات ، سقط قائد الوحش ..

وعاد السكون ..

السكون الذى يسبق العاصفة ..



٣ — استدعاء رسمى ..

يقف (عصام) في مكتبه ، في قسم الحوادث بالجريدة ،

حتى ساعة متأخرة من الليل ، يُعدّ بعض أخبار الجرائم

التقليدية ، عل الرغم من طول الجريدة للطبع ، منذ أكثر من

ساعتين ، فاقرب منه عم (أمين) ، فواش القسم ، وقال في

طجة أب عطوف :

— ألن تعود إلى منزلك يا ولدى ؟ .. لقد انصرف الجميع

منذ أكثر من ساعتين .

تهنّد (عصام) ، وهو يقول :

— صدقنى يا عم (أمين) .. إننى أشعر بمزيد من الملل

هناك .

ضحك عم (أمين) ، وهو يقول :

— الملل .. عجبًا ! .. أشعر مثلك بالملل ؟ .. كنت أظن

حياتك الحافلة تكفى ، لدرء أى نوع من الملل عنك .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— أنظرُ أنتى أفضى عمرى كله فى إرادة مستمرة يا عم (أمين) ؟

هتف عم (أمين) :

— لست وحدى أظن ذلك يا أستاذ (عصام) .. كل فرائدك يحملون الشعور ذاته ، عندما يظالمون تحقيقاتك المثيرة .

تتهّد (عصام) مرّة أخرى ، وقال :

— كيف يا عم (أمين) ؟ إننى لم أنشر تحقيقاً واحداً جيداً منذ شهر .

ابتسم عم (أمين) ، وهو يقول :

— أعلم ذلك يا أستاذ (عصام) ، منذ قضية ذلك الشيخ (*) .

أوماً (عصام) برأيه موافقاً ، وقال :

— هذا صحيح .. لقد كان شاباً مسكيناً ، أعمته الرّغبة فى الانضمام ، حتى دفع حياته ومستقبله وشبابه ثمّاناً لها . قال هذا وتهّد للمرّة الثالثة ، وكأنّما يحمل فى أعماقه ملل الدنيا كلها ، ثم نهض ، قائلاً :

(*) راجع قصة (قضية شيخ الضحية) .. المأخرة رقم (٣٦) .

— ولكنك على حق يا عم (أمين) ، على أيّة حال .. لا بدّ لى من العودة إلى منزلى .

تطلّع إليه عم (أمين) فى إشفاق ، وهو يللم حاجاته ، استعداداً للانصراف ، وقال له فى حنان أبوى :

— أنقِل نصيحتى يا أستاذ (عصام) ؟

أجابته (عصام) فى هدوء :

— بالتأكيد يا عم (أمين) .

قال الرجل فى إخلاص :

— تحذّر إجازة طويلة .. إجازة تغلب فيها على هذا الملل ، وتبعد خلالها حماسك ونشاطك .

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يتطلّع إلى عم (أمين) ، ثم لم يلبث أن غمغم فى فمور :

— نعم يا عم (أمين) ، يبدو أنك على حق .

غادر مبنى الجريدة فى تكاسل ، وهو يشعر وكأنّ مله قد تصاعف عشرات المرات ، وألقى تحية المساء على حارس المبنى فى ضجر ، وألقى نفسه داخل سيارته ، وأدار محركها ، واستعد للانطلاق بها ، عندما بيّحر مله كله دفعة واحدة ، وتوترت كل عضلاته ، والتفتد حاجباه فى شدّة ، وتخطى قلبه فى خف .

فهناك ، على بعد أمتار قليلة أمامه ، وقفت سيارة كبيرة ،
وعيون سائقها ، والرجل المجاور له تتطلعان إليه في اهتمام
وترقب ..

ولم يكن الأمر يحتاج إلى موهبة (عباد) و (غلا) في
الاستنتاج ، ليعلم (عصام) أن الجالسين في هذه السيارة
يراقبانه ..

وبدلاً من أن يضطرب (عصام) ، أو يشعر بالخوف ،
وجد نفسه يتسم في حماس ، ويغمغم في طمحة أقرب إلى
الجبذل :

— وداعاً أيها الملل .. مع احترام للزميل العزيز (أنيس)
منصور (٢٠) ..

وكشخص متقدم على لعبة طريقة ، اتبعت اصطامة
(عصام) ، وانطلق بالسيارة ، ومرت السُحرة في
اصطامته ، عندما تعقبه السيارة الأخرى على الفور ،
وغمغم :

— رهبا .. دعونا نحير مهارتنا ..

(٢٠) للكاتب الكبير (أنيس منصور) كتاب يحمل نفس الاسم
(وداعاً أيها الملل) ..

وفجأة ، انحرف بسيارته في طريق جانبي ، وزاد من
سرعتها على نحو مبالغ ، لينحرف منه إلى طريق ثان ، حيث
أوقف السيارة بغتة ، وفقر منها ، واندفع يحمي في أحد
الأركان ..

ومضت لحظة ، قبل أن يسمع صوت السيارة الأخرى ،
وهي تنحرف خلف سيارته ، في الطريق الجانبي الثاني ،
وسمعها تتوقف في جدة ، وعجلاتها تطلق صريراً قوئاً ، قبل أن
تفتح بابها الأماميان ، ويلفز منها الرجلان ، ويحط أحدهما في
توكر :

— إنها سيارته .. اليس كذلك ؟
أجابته الثاني في حلق :

— بلى ، ولكنها عالية
هف الأول في قلق :

— أين ذهب إذن ؟

زأن الصمت بعد أسئلة غامضة ، حتى أن (عصام) قد شعر
بالقلق ، خاصة وأنه لا يرى الرجلين أو سيارتهما ، من حيث
يقف ..

وفجأة ، برز أمامه أحد الرجلين ، واتسم في ظفر ، وهو يقول :

— إذن فأنت هنا ..

وسرعة ، تحرك (عصام) ..

الحنى بفتة ، ومال جانباً ، ودفع الرجل إلى اليسار ، ودار حوله في مرونة ، ثم دفع كفتيه تحت إبطى الرجل ، وتبعهما بذراعيه في سرعة ، وأدار كفتيه خلف عنق الرجل ، الذى هتف في دُعر ، من فرط المفاجأة :

— الشجدة يا (شوق) !!

وجد (عصام) الرجل الآخر يندفع إلى مكانه بفتة ، وهو يستل مسدسه من جيب مئترته ، فدفع زميله في وجهه ، وهو يهتف :

— لا أسلحة يا رجل .. هذا خطأ ..

سقط الرجلان أرضاً ، وارتبكا لحظة ، ففزع خلالها (عصام) نحوهما ، وكال لأولهما لكمة عنيفة في فكه ، وللآخر ثانية كالقبلة في معدته ، وأسرع يلتقط المسدس ، ويفتقر إلى الخلف ، مصوّباً المسدس إليهما ، وصانحاً في صرامة :

— انتهت اللعبة .. استسلموا وإلا

دفع كل من الرجلين ذراعيه فوق رأسه ، وهتف أحدهما في منقطع :

— إنا نستسلم ، وإن لم يكن هناك داع للقتال .

اتسم (عصام) في سُخرية ، وهو يقول :

— هكذا ؟! .. ألم تنبها إلى أنكما كنتم تطاردانى ؟

هتف الرجل الثانى في خنق :

— لسنا نذكر ذلك ، لقد كنا نتعقبك طبقاً للأوامر .

هتف (عصام) في دهشة :

— أوامر ؟!

أجابه الرجل الثانى في جدّة :

— نعم .. لقد طلب منا إحضارك ، دون أن يشعر زملاء

صحيفتك بذلك ، لذا فقد كنا ننتظر الابتعاد عن الجريدة ،

لتعطيك طلب الاستدعاء الرسمى .

تضاعفت دهشة (عصام) ، وهو يقول :

— استدعاء رسمى ؟!

اللقط أحد الرجلين من جيبه ورقة ، تحمل خاتماً رسمياً ،

وناوئها لـ (عصام) ، الذى قرأ عليها استدعاءً رسمياً له ، من

قسم مكافحة التجسس ، بإدارة مباحث أمن الدولة ، ولم

يفاجئه مطلقاً ذلك التوقيع في أسفلها ..

توقيع (عادل محمود) ..

٤ - العميل السري ..

ارتفعت اهتمام واسعة ، على شخصي العليد (عادل محمود) ، رئيس قسم مكافحة التجسس ، بإدارة مباحث أمن الدولة ، وهو ينهض لمصافحة (عصام) في مكتبه ، قائلاً :

— مرحباً يا (عصام) .. كيف حالك يا صديقي ؟

صافحه (عصام) ، وهو يقول في جدّة :

— كان ينبغي أن أكون في خير حال ، لولا ذلك الأسلوب السخيف ، الذي لجأت إليه لاستدعائي .

ضحك (عادل) ، وهو يقول :

— إنه أبسط أسلوب ممكن ، لاستدعاء سري

يا (عصام) .

هبط (عصام) في خفق :

— وما شأنى أنا بالاستدعاءات السرية ؟

بدت له اهتمام (عادل) شديدة الغموض ، وهو يقول

في هدوء :



التقط أحد الرجلين من جيبه ورقة ، تحمل خاتماً ومحمياً ، وناولها لـ (عصام) ، الذى قرأ عليها استدعاءة ومحمياً له ..

— من يدري ؟ .. ربما راق لك ذلك مستقبلاً .

عقد (عصام) حاجيه ، وهو يغمغم في دهشة :

— مستقبلاً !!

كان يتوقع من (عادل) تفسيراً أو شرحاً ، إلا أنه فوجئ به يسأله في هدوء ، وهو يتسم ابتسامة صافية :

— ما رأيك في قدح من الشاي ؟

غمغم (عصام) في خدر ، لم يلقِ لماذا لجأ إليه :

— في مثل هذه الساعة ؟ .. إنها الواحدة صباحاً .

هو (عادل) كفيه في بساطة ، وهو يقول :

— ربما امتد بنا الحديث بعض الوقت .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال فوق مكتبه ، وانحس نحو مسطوحاً في لحظة أمرة :

— أرسل لنا قدين من الشاي يا (حسن) .

وعاد يعتدل مواجهها (عصام) ، الذي بات شديد اللهفة والخبرة ، لمعرفة سبب استدعائه (عادل) له ، حتى قال هذا الأخير في هدوء :

— هل بلغت أمر احتراق إحدى غوامصنا ، في ميناء (رأس العين) الحرق ؟

أوماً (عصام) برأسه إيجاباً ، وقال في ضيق :

— نعم .. لقد شعر نصف مكان المناطق المحيطة بالميناء

بذلك ، وكنا قد أعددنا مكاناً لنشر الخبر ، ولكن الرقابة العسكرية تدخلت لمنع نشره .

انسم (عادل) ، وهو يقول :

— هذا صحيح .

هتف (عصام) في خنق :

— ولكن منع نشر أية حقائق يتنافى مع الديمقراطية .

حافظ (عادل) على ابتسامته ، وهو يقول في هدوء :

— حظر النشر لا ينطبق إلا على الأمور العسكرية لحسب

يا (عصام) .

صاح (عصام) في غضب :

— ولماذا هي بالذات ؟

شبك (عادل) أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول في

بطء :

— أمن الوطن .

لم تكن حتى جملة مفيدة ، يعترف بها أي دارس للتحول وقواعد اللغة ..

كانت مجرد كلمتين ..

مضاف ومضاف إليه ..

ولكن قلب (عصام) ارتجف في قوة لدى سماعهما ..

ومن أعشق أعماله ، اشتعل الحماس ، وبرز حبه لذلك

الوطن ، الذي أنجبه ، واحتضنه ورعاه ..

ومجرد ذكر الكلمتين ، للاثني كل غضب (عصام)

وختفه ، وعأوده هدوء طالما اشتاق إليه ، في الشهور

الأخيرة ، فابسم في خجل ، وهو يسأل (عادل) :

— كيف حال كنفك وسائق ؟ .. هل شفا بعد

استخراج الرصاصتين منها ، في قضيتنا الأخيرة ؟ (*)

ابسم (عادل) ، وهو يقول :

— لقد شفا والحمد لله .. لقد كان ذلك منذ شهور .

ثم مال نحو (عصام) ، واختفت ابتسامته ، وهو يسأله في

اهتمام :

— آأت مستعد لخدمة وطنك يا (عصام) ؟

أجاب (عصام) في حزم وحاس وإخلاص :

— بحيات كلها .

(*) راجع قصة (قضية شيخ التضحية) .. المغامرة رقم (٣٦) .

اعتدل (عادل) ، وهو يقول في حزم :

— نحن نحتاج إليك .

وضع (عصام) يده على صدره ، وهو يقول في حاس :

— أنا رهن إشارتك .

ابسم (عادل) ، وهو يقول :

— كنت أتوقع ذلك .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو

يقول :

— كيف اشتعلت الغواصة في رأيتك يا (عصام) ؟

أجاب (عصام) في حزم :

— بفعل فاعل .

التفت إليه (عادل) في دهشة ، وهو يقول :

— كيف عرفت ؟

ابسم (عصام) ، وهو يقول :

— ما كنت لتطلب تعاوني ، لو أن الأمر خلاف ذلك .

أطلق (عادل) ضحكة عالية ، وهو يقول :

— يا إلهي !! لقد أصبحت عجيزاً يا (عصام) .

ابسم (عصام) ، وهو يقول :

— تلميذك .

رئت (عادل) على كفه في اعتزاز ، ثم جلس قبالة ،
وقال في جدّة :

— هناك حائن بين طاقم الغوّاصة يا (عصام) ، فلقد
اشتعلت الغوّاصة بفعل عدة قبائل حارقة ، انفجرت كلها في
وقت واحد ، في أثناء إعداد الغوّاصة لثأرة الخريف ، ولدينا
شاهد واحد على ذلك ، وهو مهندس الغوّاصة ، النقيب
(محمد يسرى) ، وهو الآن في مستشفى (رأس العين)
البحري ، يُعالج من حروق بالوجه والكفّين ، وأسفل الإبط
الأيمن ، ولقد كان من الشططي أن تنجّه شباننا نحو أفراد
الطاقم ، الذين كانوا خارج الغوّاصة ، وقت انفجار القبائل ،
وبالتحديد خمسة المسئولين عن حجرة التوزيعات
الخارجية ، حيث كانت القبلة الرئيسية ، التي تحكم انفجار
باقي القبائل .

سأله (عصام) في اهتمام :

— وما المطلوب منك بالضبط ؟

أجابته (عادل) في هدوء :

— أن تذهب إلى قاعدة (رأس العين) ، كضابط اتصال

بحري ، وأن تبحث عن الحائن ، بين المشبه فيهم الخمسة .

وَأَنْ الصمت لحظة ، ثم قال (عصام) في هدوء :

— ولماذا وقع الاختيار عليّ أنا بالذات ؟

ابسم (عادل) ، وهو يقول :

— سؤال ذكي .

ثم تراجع في مقعده ، مستطردًا :

— لقد كان من المفروض أن تتولّى المخابرات الحربية هذه

العملية ، ولكن ثبت من تحرياتنا أن اثنين من المشبه فيهم

الخمسة ، كانوا يعملان في المخابرات الحربية ، إلى مدة قريبة ،

لذا فقد فضّل مدير المخابرات الحربية إسناد الأمر إلينا ، خشية

أن يكشف الجاسوس أمر تحرياتنا ، وبالنسبة لي ، فقرر اسمك

إلى ذهني ، وأنا استعرض رجالي ، ووجدت فيك كل

ما أنشده ، فأنت وطني ، مخلص ، دقيق الملاحظة ، ذكي ..

وابسم ، مستطردًا :

— ثم إنك صحفي .

سأله (عصام) في دهشة :

— وما الذي يقنيه ذلك ؟

أجابته (عادل) في اهتمام :

— إننا نحاول إقناع ذلك الجاسوس المجهول ، بأننا قد

اكتفينا بتحقيق روتيني ، حول الحادث ، وأخشى ما نخشاه هو أن يتجه إلى بحثنا ، فيأخذ الحذر ، ونعجز عن اصطاده ، عل حين أن موقعه بالغ الخطورة ، ومن غير الممكن إبعاده عنه ، عشية السبب نفسه .

أوماً (عصام) برأسه . وهو يغمغم :

— معقول ، وفي حالة كشف أمرى ، يمحكمكم ادعاء أنى مجرد صحفي فضولى .

ثم رجع رأسه إلى (عادل) ، يسأله في اهتمام :

— ومتى أبدأ العمل ؟

أجابته (عادل) في هدوء :

— غدا صباحاً ، ستسعى (عصام كامل) الصحفي ، وتصبح

(عصام عبد الحميد) .. ملازم أول ، وضابط اتصالات .

قال (عصام) في اهتمام :

— أظن أنه من الضروري أن أرسل طلب إجازة إلى

الجريدة ، و

قاطعه (عادل) في هدوء :

— لقد تم إرساله ، وهو يعمل توفيقاً لا يمكن تمييزه عن

توفيقك .

هتف (عصام) في دهشة :

— ماذا ؟ .. أكنت وافقاً من موافقتى إلى هذا الحد ؟

ابتسم (عادل) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

— بالتأكيد .. ألم تكن تشعر بالملل ؟

انسعت عينا (عصام) في دهشة ، ثم لم يلبث أن ابتسم ،

وهو يقول :

— كم يروق لى أن أعمل معك !!

غمغم (عادل) :

— وأنا أيضاً .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرداً في جدية :

— وحذار أن يكشف الجاسوس طيبة مهنتك .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد في حزم خفيف :

— عندئذ لن يتروّع عن قتلك .. وبلا رحمة ..



٥ - الضابط البحري ..

قرأ قائد القاعدة البحرية الأوراق ، التي تلقم إليه بها
(عصام) ، في هدوء ، ثم رفع عينيه إليه ، يتأمله في اهتمام ،
قبل أن يقول :

— منذ متى تعمل في قاعدة (سفاجة) أيها الملازم ؟
أجابه (عصام) ، وهو يحرص على التزام الوقفة
العسكرية الناجية :

— منذ عام يا سيدي .

سأله القائد في خذر :

— من كان قائدك ؟

أجابه (عصام) في سرعة :

— العقيد (حسين علام) يا سيدي .

أوما القائد برأسه إيجاباً ، وقال :

— هذا صحيح .. مرحباً بك بينا أيها الملازم .. ستعمل
على المدفئة (فجر) ، فهي بحاجة إلى ضابط اتصال .

قرأ قائد القاعدة البحرية الأوراق ، التي تلقم إليه بها (عصام) ، في
هدوء ، ثم رفع عينيه إليه ، يتأمله في اهتمام ..

شعر (عصام) بإعجاب شديد في أعماقه ، تجاه ذلك
التسبيح الرائع ، بين إدارق الخابرات الخفية والمباحث
العامية ، فبعد احتراق القوامة ، تم نقل المشتبه فيهم الخمسة
إلى المدفئة (فجر) مؤقفاً ، لحين تسبيح عملهم على غوامة
أخرى ، وأمس فقط أصيب ضابط اتصال المدفئة (فجر)
بعدوى أنفلونزا شديدة ، جعلته يلزم الفراش ، بحيث جاء
حضور (عصام) إلى القاعدة ، متوافقاً تماماً مع احتياج
المدفئة (فجر) لضابط اتصال ..

لم يدر تماماً كيف أمكن لرجال الخابرات الخفية ، إصابة
ضابط الاتصال بفيروس الأنفلونزا ، ولكنه كان يعلم أن هذا
ما فعلوه ..

وبما بتلوث منديله بالفيروس ، أو بمخالطة مصاب به
له ..

المهم أنه الآن سيذهب إلى (فجر) ..
وسيدأ مهمته ..

كان المشتبه فيهم الخمسة يعملون ، في نفس القاعدة ، التي
يعمل بها (عصام) ، إذ تم إلحاقهم بالاتصالات مؤقفاً ، لحين
نقلهم إلى غوامة أخرى ..

كانوا ثلاثة جنود وضابطين ..

الجندي (فارس) ، جندي منقطع ، التحق بالسلاح
البحري منذ عام واحد ، وبسلاح القوامة منذ ثمانية
أشهر ..

و (يس) ، جندي منقطع أيضاً ، التحق بالبحرية منذ
عامين ، ويعمل بنفس القوامة المخرقة منذ عام ونصف ..
و (جلال) ، مجتهد ، تم إلحاقه بالقوامة مؤقفاً ، قبل
الحادث بأسبوع واحد ..

و (أيمن) ، ضابط بحري برتبة ملازم ثان ، حديث
الالتحاق بالتشكيلات القتالية ، وبالقوامة المخرقة ..
و (محيى) طارقي) .. فهذه بحري ، يعمل بالقوامة منذ
عام ونصف ..

ولقد كان استقبالهم لـ (عصام) فائزاً ، إذ صافحوه في
تبرود ، وأرشدوه إلى مكان عمله في ضيق ، فضحك وهو
يقول :

— عجباً !! ماذا أصاب رجال البحرية ؟
قال (يس) في حجة لا تحمل نبرة وذ واحدة :
— احترقوا ..

عقد (عصام) حاجيه ، وراؤذته وغبة في تحدى الجميع ،
ورد الكثرة إليهم ، فقال في نزود :
— مع الغواصة ؟ !

لم يكذب ينطق بتلك الكلمة ، حتى خامره شعور قوي
بالندم ، وكاد بعض على شففيه في غيظ ، وقد بدا له أنه قد
أفسد كل شيء ، بسرعه ، خاصة أن الرجال الخمسة قد انصرفوا
إليه في دهشة ، وعظم (أين) في خنق :
— اللعنة !.. يبدو أننا وحدنا نلزم السرية .

على حين سأله (فارس) في اهتمام :

— كيف علمت بأمر تلك الغواصة ؟

هز (عصام) كتفيه ، وقال :
— لو أنكم تصوّرون أنه سر ، فأنتم وأنتمون ،
ف (الإسكندرية) كلها تتحدث عن تلك (الغواصة
المغرقة) .

لم يجد أحدهم ، وإن بدا التثبّت واضحاً في وجوههم .
وطال صمتهم حتى أنه استطرد في جدة :

— من أين تصوّروني علمت به إذن ؟

أشاح (أين) و (طارق) بوجهيهما ، على حين مط

(يس) شففيه ، وزلزل (جلال) في ضيق ، وابسم
(فارس) ، وقال في لجة تحمل الكثير من الحبّ والذهاء :
— من يدري ؟ ..

وهكذا منذ اللحظة الأولى ، واللقاء الأول ، بدا الموقف
كله شديد التوتر ، فلم يجد (عصام) أمامه أفضل من
الإشاحة بوجهه عنهم ، والظاهر بمراجعة بعض آلات
الاتصال الخاصة به ، وهو يلقب الموقف في ذهنه ، على كل
الوجوه ..

كان يحاول أن يقصر الشبهات على شخصين أو ثلاثة على
الأكثر ..

ولقد تكوّنت لديه فكرة عامة ، إذ حضر شهبانه في
(جلال) و (أين) ، لأنهما أحدث المصحقين بالغواصة ،
بعد أن بدا له من غير المنطقي أن يعمل جاسوس داخل الغواصة
لعدم أو عامين ، قبل أن يقرّر طجيرها ..

وبينا استغرق في التفكير ، سمع فجأة صوت (يس)
يقول :

— أحييتك معرفة ما أحدث للغواصة ؟

حنق قلب (عصام) في قوة ، وؤذ لو أنه التفت إلى

(يُس) في لفظة ، وسأله في شغف غمًا لديه ، إلا أن كلمات
(عادل) ذوّت في عقله في قوة :

— لا تبتد أي نوع من اللّهفة لمعرفة آية معلومات ، فهذا
وحده كفيّ بكشف أمرك .. دغهم هم يدلّون بما لديهم ،
وتظاهر بأنك مجرّد مستمع ، لا يعنيه الأمر كثيرًا ، وثق أنهم
سيخبرونك بكل ما يعملونه ، إذ إن المرء ، في مثل هذه
الظروف المتوتّرة ، يكون في أمسّ الحاجة إلى من يستمع
إليه ..

وابتسم (عصام) في هدوء ، عندما استرجع تلك
الكلمات ، وقال دون أن يلتفت إلى (يُس) :

— لو أن هذا يزوق لك
قالمًا في بساطة ولا مبالاة ، حتى إن (يُس) تردّد لحظة ،
قبل أن يغمغم :

— إنه أمر سخيف .
تدخل (طارق) فجأة ، قائلاً :

— أتصدّق حقًا أنه حادث مفتعل ؟
تلقت (يُس) حوله في قلق ، وكأنما يخشى أن يسمعه

أحد ، وغمغم :
— من يدري ؟

مطّ (فارس) شفّيته وقال :

— لن أصدّق ذلك أبدًا .. إنها غوّاصة قديمة ، ومن
الطبيعي أن يحدث فيها أي خلل .

غعد (أمين) حاجبيه ، وهو يقول :

— أألم تسمع ما قاله المهندس (يُسرّ) ، فور خروجه
من الغوّاصة ؟ لقد هتف بأنه يوجد خائن بيننا .

هتف (فارس) في جدّة :

— أتصدّق ذلك الهُراء ؟
أجابه صوت (طارق) في صرامة باردة :

— ولم لا ؟
احتقن وجه (فارس) في توتّر ، وهو يغمغم :

— معذرة ياسيدى .. إننى لم أقصد الإساءة إلى سيادة
المقدّم (يُسرّ) ، ولكننى أقصد أنه من الطبيعي أن يقول

ذلك ، بعد أن نجا ليّونه من الموت بأعجوبة ، ورأى بطشه
العجوز تنهار أمام عينيه ، بعد كل ما بذله ، طوال اثني عشر

عامًا ، ليجعل منها أفضل غوّاصات الأسطول .
قال (طارق) في هدوء :

— هذا لا يمنع من كَوْن الحادث متعمّدًا .

قال (فارس) في تولد :

— لنا في زمن حرب .

ابسم (طارق) في سُخرية ، وهو يقول :

— ومن قال إن التخريب العسكري يقتصر على زمن

الحرب فحسب ؟.. إن التخريب العسكري لا يتوقف أبداً ،

فهو جزء من سباق التسلُّح ، الذي ينقسم إلى قسمين ، يعتمد

الجزء الأول على إنتاج وشراء أسلحة تفوق أسلحة الأطراف

الأخرى ، ويعتمد الجزء الثاني على إيقاف وتدمير أسلحة

وتطور الطرف الآخر .

سأله (عصام) في اهتمام :

— أين تعلّمت ذلك ؟

التفت إليه (طارق) في حركة حاذئة ، وخدجته بنظرة

قاسية قصيرة ، قبل أن يشيح بوجهه ، مغمغماً :

— إنه أمر منطقي فحسب .

قال (جلال) في هدوء :

— أئيني هذا أنه ليس قاعدة ملزمة يا سيدي ؟

هتف به (طارق) في صرامة :

— بل هو كذلك ؟

ارتسمت على شفطي (جلال) بصامة خبيثة ، وهو يقول :

— كما تأمر يا سيدي .

وكأنما كان في هذا القول فصل الحزام ، فقد ساد الصمت

فجأة ، وانته كل من لاطنى الحجره الستة إلى عمله ، دون أن

يبادل أحدهم كلمة زائدة مع آخر ..

ووسط هذا الصمت ، كان هناك حديث صاخب ، يدور

في رأس أحد المشبه فيهم الخمسة ، وهو يختلس النظر إلى

(عصام) ، قائلاً في أعمائه :

— إذن فأنت هو (عصام كامل) ، ذلك الصحفي

الجهور .. يا لك من احمق أو يا لمن أوسرك هناك من حق !!

صحيح أنهم لا يشرون صورتك مع تحقيقائك ، ولكني

تعرفتك ، فقد أوقفت زملاء في مسبقاً (*) .

عاد يختلس النظر إلى (عصام) ، قبل أن يستطرد في

أعمائه بسُخرية :

— يبدو أنها فرصة مناسبة للانتظام منك أيها الصحفي ..

فأنا سأفعلك .

ولي أعمق أعمائه ، انطلقت ضحكة ساخرة وحشية ..

(*) (راجع قصة) قضية حرب الخدوات (.. المأثرة رقم ٢٥) .

٦ - الجاسوس القاتل ..

بعض (عادل محمود) من خلف مكتبه في احترام بالغ ، عندما شاهد مدير مباحث أمن الدولة يذلف إلى مكتبه ، ولكن هذا الأخير أشار إليه بالبقاء في مكانه ، وهو يقول :
— لا عليك يا (عادل) .. لقد أردت التحدث إليك فحسب .

جلس (عادل) ، بعد أن استقر مدير المباحث ، على المقعد المقابل له ، وقال :

— كان يمكنك أن تستدعيني إلى مكتبك يا سيدي .

ابصم المدير ، وهو يقول :

— ذكرك من هذه الروتينيات يا عزيزي ، فكلنا هنا أسرة

واحدة ، ونعمل جميعاً لصالح الوطن .

غمغم (عادل) في اعتزال :

— ونحن نفرح بذلك يا سيدي .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، ثم حلت ملامحه كل القلق في أعماقه ، وهو يسأله :

— كيف حال عملية (رأس النين) ؟

هز (عادل) كتفيه ، وقال :

— إنها لم تبدأ سوى هذا الصباح يا سيدي .

سأله المدير في قلق واضح :

— أتحظن أن ذلك الصحفي مزقّل للقيام بها ؟

أجابته (عادل) في ثقة :

— إنني أتحمّل المسؤولية كاملة يا سيدي .

هز المدير رأسه في حيق ، وهو يقول :

— إنها ليست مسألة مسؤوليات يا (عادل) ، فلقد اتفقنا

على أننا نعمل جميعاً لصالح الوطن ، وهذا يعني أن المهم هو نجاح

العملية .

قال (عادل) في حماس :

— مستجيب بإذن الله يا سيدي .

غمغم المدير :

— هذا ما أتمناه يا (عادل) .

ثم رفع رأسه إليه ، قائلاً :

— ألم تكن آلة فكرة ، من التحقيقات الأولية ؟

هز (عادل) رأسه تلياً ، وهو يقول في أسف :

— كلاً يا سيدي ، فمن الواضح أن ذلك الجاسوس رجل شديد الحرص والذكاء ، ولقد فحصت ملفات الشبهة فيهم الخمسة ، فلم أجد في ملف أحدهم ما يثير الشبهة .

زهر المدير في حقيق ، وهو يقول :

— لقد أحسن الأعداء اختيار جاسوسهم .

ابنسم (عادل) ، وهو يقول :

من يدري يا سيدي ؟ إنها لعبة معقدة ، يتناوبونهم ، والرائع الحقيقي هو من يربح في النهاية .. أليس كذلك ؟

تهنأ المدير في عجب ، وشرقة بصره ، وهو يهمهم :

— بلى .. المهم هو من يربح في النهاية .

وقد (عصام) في كايته الصغيرة ، داخل المدمرة ، يفكر فيما حدث ، في اليوم الأول له في اللعبة ..

كان من الواضح أن تحديد المشبه فيه ، وسط هؤلاء الخمسة ، أمر بالغ الصعوبة ، فالجميع يدون عاذنين للغاية ، ومن العسير أن يركز المرء شبهاته على أحدهم بالذات ، إلا إذا

إلا إذا كشف الجاسوس نفسه ..

ولكن كيف ؟ ..

كيف يمكن دفعه إلى كشف نفسه ؟ ..

وفجأة ، وعند هذا السؤال الأخير ، انتهت حواره كلها ، واعتدل جالساً على طرف فراشه الصغير ، وحلّس أنفاسه ، وهو يزيّف سمعه في اهتمام ، فقد تناهى إلى مسامعه وقع خطوات تقترب من كايته في خدر ..

وتوقفت الخطوات أمام باب الكايته ، ورأى مقبض الباب يدور في سكون ، فعمهم في انفعال :

— يبدو أن الجاسوس سيكشف نفسه بأسرع مما كنا نتوقع .

قفز في حفة ، إلى ما خلف باب الكايته ، في الوقت الذي بدأ الباب يتحرك فيه إلى الداخل في خدر ..

ومن مكمنه ، رأى (عصام) رأس رجل يطلّ داخل الكايته ..

وفجأة ، دفع (عصام) الباب في تحف ، وسمع تأوّه الرجل ، حيناً ارتطم رأسه بخافة الباب ، قبل أن يقفز نحوه ، ويحيط عنقه بذراعه ، صائخاً في صرامة :

— لقد كشفت نفسك يا رجل .

صرخ الرجل في توثر :

— كشفت ماذا ؟ .. إننى (جلال) .

أداره (عصام) إليه في غف ، ودفعه في صدره ، فألقاه

فوق الفراش ، وهو يقول في حزم :

— أنهى هذا شيئاً ؟

هتف (جلال) في دُعر :

— بالتأكيد ، فلست أفهم سرَّ ما تفعله يا سيدي .. إننى لم

أعطى .

انزع (عصام) من سترته ، وهو يقول في صرامة :

— هكذا ؟! .. ما الذى جئت تفعله بحجرى إذن ؟

هتف (جلال) في هلع :

— لقد طلب منى القبطان استدعاءك .

تجمدت عضلات (عصام) ، وهو يغمغم في دهشة :

— القبطان ؟!

هتف (جلال) :

— نعم يا سيدي .. القبطان .. لماذا تظننى جئت إذن ؟

زفر (عصام) في ضيق ، وقال :

— يبدو أننى شديد التوثر يا (جلال) . معذرة .

غمغم (جلال) في توثر :

— لا عليك يا سيدي ، ولكن هلا تركت سترتى ..

تبَّه (عصام) إلى أنه ما يزال يجذبه من سترته ، فركبها ،

وهو يغمغم :

— بالتأكيد .

وتفترج وجهه بخمرة الخجل ، وهو يرتب على كتفه ،

قائلاً :

هيا يا هنى .. هيا نرى ما الذى يريد القبطان .

استقبل القبطان (عصام) في كايته الخاصة ، وأشار إليه

بالجلوس ، وهو يقول في هدوء :

— اجلس أنا الم لازم .. أنت ضابط الاتصال الجديد

هنا .. أليس كذلك ؟

قال (عصام) في هدوء :

— بلى يا سيدي .. هو أنا .

مطَّ القبطان شفيعه ، على نحو أصاب (عصام) بالضيق ،

وإن بدا كأسلوب تغطى للرجل ، الذى استورد في اهتمام :

— منذ متى تعمل ضابطاً للاتصال ؟

أجاب (عصام) في هدوء :

— منذ فترة قصيرة يا سيدي .

عاد القبطان يحط شفيبه ، مدمغنا :

— أنت قليل الخبرة إذن .

تهنّد (عصام) ، وهو يقول :

— إلى خلد ما يا سيدي .

هزّ القبطان رأسه ، على نحو يبدو وكأنها لا تزوق له الأمر ،

قبل أن يسأله مرّة أخرى :

— هل استكملت الفرق اللازمة ، للعمل هنا ؟

سأله (عصام) :

— أتقصّد فرق الاتصالات يا سيدي ؟

أجاب القبطان :

— بل فرقة الغوص بالتحديد .

عنهم (عصام) في دهشة :

— الغوص ؟! .. وما شأن الغوص بالاتصالات

يا سيدي ؟

عقد القبطان حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— ما شأنه ؟! .. عجباً ..! إنك تحدثت كما لو أنك لست

ضابطاً بحريّاً أبداً الملازم ..! لابد لكل من يلتحق بالبحرية من

أن يجيد السباحة والغوص .

أسرع (عصام) يقول :

— بالتأكيد يا سيدي .. إنك على حق .

تراجع القبطان في مقعده ، وقال في صرامة :

— غداً تبدأ فرقة الغوص .

هتف (عصام) في دهشة :

— غداً ؟!

أجاب القبطان في صرامة :

— نعم .. سيغوص الرجال الخمسة ، الذين يرافقونك في

حجرتك ، غداً ، لتفقد البطة العجوز (في الأعماق ، قبل

التشالها ، وهم يحتاجون إلى ضابط اتصال ، ومستصحهم إلى

الأعماق .

شعر (عصام) بتوتر بالغ ، نظراً لأنه لم يحط إلى الأعماق

أبداً من قبل ، وبدت له التجربة مخيفة ، خاصة أنه سيحط

بصحبة خمسة رجال ، أحدهم عاتق قاتل ، إلا أنه لم يكن يملك

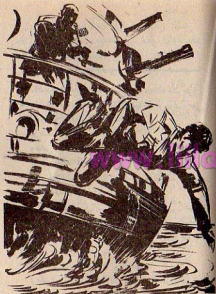
سوى أن يخيب :

— كما تأمر يا سيدي .

وغادر حجرة القبطان متوتراً ، يضرب أحماساً في

أسداس ، متسائلاً عما يمكنه أن يفعله ، ليطافى تلك

التجربة ..



وارتكن إلى حاجز المدفعة ، يتطلع إلى المياه ، التي انعكس
عليها ضوء القمر ، وهو يفهم :

— والآن ماذا تفعل يا (عصام) ؟

لم يكذب عباره ، حتى لحيل إليه أنه يسمع صوت أقدام
تقترب منه في خلد ، فالتفت إلى مصدرها في سرعة ..

ولكن التفاته لم تكتمل ..

لقد تسارعت الأقدام فجأة ، وشعر (عصام) بكفئ
يدفعانه في قوة ، قبل أن يرى وجه مهاجمه ، فارتطم بحاجز

المدفعة ، و

وهوى في البحر ..



وشعر (عصام) بكفئ يدفعانه في قوة ، قبل أن يرى وجه مهاجمه ،

الارتطم بحاجز المدفعة ، و

— تعلق به .

تشبث (عصام) بطوق النجاة ، وترك بخارة المدفأة يجذبونه إليها ، وشعر بهم يرفعونه مع الطوق إلى أعلى ، وكأنها لا وزن له ، حتى أصبح على السطح ، فأحاط به عشرات الجنود ، يحاولون إسعافه ، ويسألونه عما أصابه ، حتى هتف به (طارق) :

— ماذا حدث ؟.. كيف سقطت ؟

لوهلة كاد (عصام) يروى لهم ما حدث ، إلا أنه لم يلبث أن قدر أن هذا لا يهد مهنته ، فقال في تولر :

— لقد زلت قدمي لحسب .

تبادل البحارة نظرات الدهشة ، وهم يهيمون :

— زلت قدمك ؟؟

كان من غير المنطقي بالنسبة لهم ، وبالنسبة لأي مخلوق ، أن تزل قدم ضابط بحري ، فيرتطم بحاجز يرتفع مترًا عن السطح ، ويسقط من فوقه إلى البحر ..

كان هذا لا يحدث ، حتى مع الجندين الجدد ..

ولكن أحدًا لم يعترض ..

الجميع تظاهروا بتصديق قول (عصام) ، وتركوه يعود إلى حجرته ، ليبدل ثيابه ، ويخفف جسده ..

٧ — الأعماق ..

كان سطح المدفأة يرتفع عن سطح الماء بثلاثة عشر مترًا ، لظمها (عصام) بسرعة الجاذبية الأرضية ، وهو يروى ، حتى ارتطم بسطح الماء بدوي كالقنبلة ..

أو هكذا تحيل إليه ..

وغاص في الأعماق ..

أعماق مظلمة غريبة ..

غاص لثلاثة أمتار على الأقل ، قبل أن يبدأ المقاومة ، فبدفع

ساقيه وذراعيه في قوة ، ليصعد إلى السطح ..

واختفت أنفاسه في صدره ، وتولاه دأعر غريب ، حتى

صعد إلى السطح ، فوجد نفسه وسط دائرة من الضوء ، وسمع

عشرات الأصوات على سطح المدفأة ، وميز من بينها صوت

المهندس (طارق) ، وهو يهتف :

— ها هو ذا .. لقد صعد إلى السطح .

لم يكذب (طارق) يتم عبارته ، حتى سقط طوق نجاة إلى

جوار (عصام) ، وسمع صوتًا يهتف .

وبالنسبة لـ (عصام) ، كان ما حدث يغيب شيئا
واحدا ..

أن أمره قد كشف ..

أن اللعبة قد أصبحت تدار بأوراق مكشوفة ..

والآن الأمر قد صار خطيرا ..

بل بالغ الخطورة ..

دار ذلك الحاضر في ذهن (عصام) مرة أخرى ، وهو
يجلس داخل زورق يخارى متوسط الحجم ، في ذلك الحوض
البحري ، الذي شاصت فيه القوارصة الشرقية مرقدتا باب
الغوص ، وحوله المشتبه بهم الخمسة ، يرتدون الثياب ذاتها ،
ويعلقون عطف ظهورهم أسطوانات الأكسوجين النقي ،
للتنفس تحت الماء ..

وقبل أن يبدأ الغوص ، قال (يس) :

— إنها أول محاولة غوص لك يا سيدي .. أليس كذلك ؟

أوما (عصام) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

— بلى .

أوما (يس) برأسه متفهنا ، وقال :

— لا بأس .. الأمر بسيط للغاية .. مساعدك زعانف

القدمين المطاطية على الحركة بسهولة ، أما بالنسبة لمنظم

أسطوانة الهواء ، فعليك أن تضغط طرفه بأسنانك ، حتى

يتدفق الهواء إلى صدرك ، وعندما تفرج أسنانك يتوقف صبح

الهواء ، وعندما تحين لحظة الصعود ، ينبغي ألا تصعد دفعة

واحدة ، وإلا تكونت فقاعات النيتروجين داخل الشرايين

والعروق ، فتسبب في انسداد هوائ ، يؤدي في معظم

الآحيان إلى الوفاة .. وحاول أن تجعل صعودك تدريجيا ،

معتمدا على العقد الموجودة بحبل الإرشاد ، الذي يسط

معنا .

غمغم (عصام) :

— سأحاول .

انسم (يس) ، وهو يقول :

— معذرة يا سيدي ، ولكن ينبغي أن نحاول في شدة

لاحظا الواحد في الأعماق قد يغيب حياتك .

أبقت العبارة مخاوف (عصام) ، فأجاب في تولد :

— سأذكر ذلك جيدا ..

رفع (طارق) ذراعه ، وقال :

— استعدوا .

وضع الجميع منظمات أسطوانات الهواء في ألواحهم ،
واستعدوا ، حتى قال (طارق) في حزم :
— هيا .

وهبط الجميع إلى الأعماق ..

تكفل السفن وحده بالإطاحة بنصف مخاوف
(عصام) ، فور غوصه في تلك الأعماق ..
كان يقتحم عالمًا جديدًا ، طالما شاهدته على الشاشات ،
دون أن يلمسه يده مرة واحدة ..
عالم رائع ..

وبانسيابية أنيقة ، اقترب الرجال الستة من برج الغواصة
العارقة ، وأشار إليهم (طارق) ، فدلفوا إليها واحدًا بعد
الأخر ..

والفصل كل منهم ، طبقًا للخطة الموضوعة مسبقًا ، فيما
عدا (عصام) ، الذي بقي مع الملازم (أيمن) ، نظرًا لحدائثه
في فن الغوص ..

وانتهى الاثنان إلى حجرة التوربينات الخلفية ..
وشق ضوء مصباحيما الظلام ، وهما يعترضان تلك الممرات
الضيقة ، في عمق الغواصة ، حتى وصلا إلى هدفهما ..

وكانت أوسع حجرات الغواصة تقريبًا ..
وثبت الاثنان مصباحيما عند باب الحجرة ، ليتكفلا
بإضاءةها ، دون أن يفوقا حركتهما ..
وبدأت عملية الفحص ..

كان من الواضح أن الانفجار الأول قد حطم مساحة
كبيرة ، قبل أن تتكفل النيران بتدمير الباقى ..

وفي حماس ، أشار (أيمن) إلى جسم أسود ، يبدو واضحًا
خلف عدة مواسير ضخمة ، وانتهى إليه مع (عصام) ، وراحا
يدفعا المواسير ، بكل ما يملكان من قوة ، حتى يمكنهما التقاط
ذلك الجسم الأسود ..

ولجأة ، اخطى ضوء المصباحين ..
اخطى بقعة ، كما لو أن أحدًا قد أطلقها دفعة واحدة ،
وساد ظلام تام دامس ، جعل قلب (عصام) يرتجف في
زُعب ، وهو يتلمس طريقه وسط الماء ، نحو الملازم (أيمن) ،
وتحلى إليه أن جسمًا قد غتر إلى جواره ، فاستدار إليه ..
ولجأة ، اضطربت المياه بجوانبه في شدة ، وبدأ الأمر أشبه
بصراع عنيف نشب فجأة ، وارتطمت زعقفة قدم بوجهه ،
فدفعته إلى الخلف ، وجعلته يرتطم بالآلات في تحف ..

ولأول مرة ، منذ بدأ القوص ، شعر (عصام) بالخلق ،
لأن غوصه في الأعماق يمنعه من الكلام ، ومن معرفة ما يحدث
حوله ..

وراح قلبه ينبض في خوف وتوتر ..

وفجأة ، ساد الهدوء حوله غامقا ..

كان من الواضح أن المعركة قد انتهت ، لصالح أحد
الطرفين ..
ولكن أيهما ؟ ..

وفي توتر بالغ ، راح (عصام) يتحسس جدران حجرة
التوربينات الخلفية ، محاولا التوصل إلى بابها ..

وفي أعماقه راح يصرخ :
— ماذا حدث يا ترى ؟ .. أهو ذلك الجاسوس ؟ .. هذا

يثبت أنه ليس (أيمن) على الأقل .. وأنه أحد الأربعة
الأخرين .. ولكن من هو ؟ .. وماذا أصاب (أيمن) ؟

عثر بغية على فتحة الباب ، وعامره فكرة الفرار بالقص
سرعة ، إلا أن خوفه على مصير (أيمن) جعله يبحث عن
موضع المصباحين ، حتى عثر عليهما فأسرع بضيئتهما ..

وفي البداية ، بدت له الحجرة خالية ، ثم لم يلبث ضوء
المصباحين أن وقع على مشهد مفرع ..

على وجه (أيمن) ، الذي يحمل أبشع آفات الرعب ، وقد
مُرّق أحدهم خرطوم أسطوانة الأكسجين الخاصة به ، وتركه
يتنشق في الأعماق ..

وتراجع (عصام) كالصعوق ، عندما وقع بصره على
ذلك المشهد ، وراح يصرخ في أعماقه :

— ذلك الخائن القذر العميل .. لقد قتل (أيمن) .. لقد
قتل ضابطا مصريًا ..

وفجأة ، تحيل إليه أنه يتنشق ..

لقد استهلك انفعاله كل ما تبقى في أسطوانته من هواء ..
لقد أصبح بلا هواء ، على عمق تسعة أمتار ، وداخل
حجرة تعد ثلاثين مترا عن أقرب فتحة للخروج من
القوامة ..

إنه سيشارك (أيمن) مصيره ..

الفرق ..



٨ - المعجزة ..

لم يشعر (عصام) - في حياته كلها - بقيمة الهواء ،
الذي تستشفه كل مخلوقات الأرض ، كما شعر بها في تلك
اللحظة ..

لقد كان مستعدا لدفع نصف عمره ، من أجل جرعة
هواء ، تمنحه النصف الثاني ..

وكان عليه ، في الوقت نفسه ، أن يتحرك في سرعة ..
و دون أن يتضح لحظة واحدة ، راح يدفع جسده إلى
الأمام ، مكثفًا بالبقية الباقية من الهواء في صدره ، وغتر باب
حجرة التوربينات الخلفية ، وأخذ يسبح غير المعر الحار جي ،
مستعينا بضوء مصباحه ..

وبدت له المسافة كأن لا نهاية لها ..

بدت له أشبه ببرزخ بين الحياة والموت ..

وبدا لنفسه أشبه برجل يختصر ..

ومنحه ذلك الحاضر الأخير قوة ، جعلته يدفع جسده إلى



ولقد مرّوا أحدهم خرطوم أسطوانة الأكسجين الخاصة به ، وشركته
تخفق في الأعماق ..

الأنعام ، وبحرك ذراعيه وقدميه في غلب ، ويقايل من أجل
حياته ..

وأخذت أنفاسه تضيق ، وتضيق .. وتضيق ..
وبدأت مقاومته تضعف ، وتضعف .. وتضعف ..
وفجأة ، لم يقد يحتمل ..
انهارت مقاومته كلها ..
عجز جسده عن مواصلة رحلة الصراع ..
واستسلم (عصام) ..
استسلم للموت في الأعماق ..

وتراخى جسده ، ولم يقد هناك ما يحركه سوى تيار
الأعماق فقط ..
ثم انما كالنوى ..

صعد (طارق) إلى سطح الماء ، ورفع جسده إلى الزورق
البخارى المتوسط الحجم ، الذى ينظر فوق السطح ، وقال
وهو يمزع نظاره :

— هل الجميع هنا ؟

أجاب (جلال) في قلق :

— الملازم (أمين) والملازم (عصام) لم يعودا بعد
يا سيدي .

اتسعت عيناه (طارق) ، وهو يهتف :
— ماذا ؟

وأشار إلى ساعته ، وهو يستطرد في دُعر :
كمية الأكسجين معهما لن تكفى لكل هذا الوقت .
ودون أن يضيف كلمة أخرى ، أعاد نظاره إلى عينيه ،
وقفز في الماء ..

استسلم (عصام) قائما لمصوره ، وزاح شريط من الأفكار
والذكريات بحر أملم عينيه في سرعة ، كما لو كان يستعرض
حياته كلها ، قبل أن ينقل إلى عالم الموت ، وترك جسده
ليتأرات الأعماق ثم انما ، و

وفجأة ، التقط في صدره دفعة قوية من الهواء ..
واتسعت عيناه في دُفول ..
كان الأمر أشبه بالمعجزة ..

لقد دفعه تيار الأعماق إلى جيب هوائى ، بقي في أحداق كان
الفرصة العارقة ..

تماماً ، مثلما يحدث عندما تقلب كوكبا فارغاً في الماء ..

وخفق قلب (عصام) في قوة ..

إياها حلقاً معجزة ..

لقد أراد له الله (سبحانه وتعالى) التجاة ، ومواصلة

طريقه ..

وبكل ما يملك من قوة وخفة ، راح (عصام) يستشلق

الهواء في ارتفاع ، ثم ملأ صدره بكمية كبيرة منه وعاد يلمح

بخطأ عن مخرج ..

ول هذه المرة كان الأمل في صدره كبيراً ..

ولقد أتعشه هذا الأمل ، وجعله يحتمل ، حتى بلغ فتحة

نرج القواصة ..

وبكل ما تبقى له من قوة ، دفع (عصام) جسده خارج

فتحة النرج ، وراح يضرب بساقه وذراعيه في قوة ، ليصعد

إلى السطح بأقصى سرعة ..

وفجأة ، أمسكت قبضة قوية بكاحله ..

قبضة بشرية منه من الصعود ..

ولم يفكر (عصام) لحظة واحدة ، فيمن يكون صاحب

تلك القبضة ..

لقد عرفه ..

إنه الجاسوس ..

دار (عصام) حول نفسه ، وهو يواجه خصمه ، وحرك

قبضته في الخف ، وكأنها يحاول أن يلكمه ، ولكن مقاومة الماء

جعلت لكنته ضعيفة للغاية ، على حين ارتفع خصمه إلى أعلى ،

وطرق وسطه بذرارعه ..

وهنا عرف (عصام) من هو الخصم ..

لقد رآه وجهها لوجه ..

يا الهي !!! إذن فهذا هو الجاسوس ..

إنه هو بالتأكيد ..

إنه يحاول منه من الصعود إلى السطح ..

إنه يحاول إغراقه

وبكل ما يملك من قوة ، دفع (عصام) ركبته في صدر

خصمه ، وأجبره على التخلي عنه ، ثم ارتفع إلى السطح

بسرعة ..

وراح السطح يقترب بسرعة .. بسرعة ..

وألفاه تضيق .. تضيق ..

وفجأة ، شعر (عصام) بالآلام مبرحة في ذراعه اليسرى
وأسنانه ..

لم يذر ما الذى يغيبه ذلك ..

ولم يكن لديه ما يكفى من الوقت ليدركه ..
لقد خارت قواه فجأة ، وأظلمت الدنيا من حوله ،

و

ولقد وعبه ..

لم يكدر زنين الحائف المجاور لـ (عادل محمود) يرتفع ،
حتى الحطفت سبأه في لفحة ، ووضعها على أذنه ، هاتفا :
— من المتحدث ؟

استعت عيانه ، وهو يستمع إلى حديثه ، ثم لم يلبث أن هتف
في خنق :

— حسنا .. سأصل على الفور .

وأعاد سبأه الحائف ، وهب من مقعده في تولر ، فسأله
زميله (مدحت) :

— ماذا حدث ؟

أجاب (عادل) ، وهو يسرع نحو الباب :

— إنه (عصام) .

هتف (مدحت) في تولر :

— ماذا أصابه ؟

صاح (عادل) في صوت غاضب :

— لقد تعرض لحادث مهم .

ثم أودف ، وهو يعبر الباب في جلبة :

— سيدفع المحرم الثمن .. أقسم على ذلك .

كان المظلام الدامس يحيط بـ (عصام) من كل الجهات ،
مع صمت وسكون رهيبين ، وفجأة بدت بارقة ضوء ..

حيط ضوئاً اتسع وتعاظم ، ليصنع بقعة ضوئية كبيرة ،
أخلطت بصوت نهم يأتى من بعيد ، لم تلبث حروفه أن
تميزت ، لتصبح لـ (عصام) جملة تقول بصوت مألوف :

— أخى .. حدثا .. إنك حتى ..

أخوه !؟ ..

بدت الكلمة عجيبة للغاية في أذنى (عصام) ، فهو وحيد
والدبى ، بلا إخوة أو أخوات ، وعلى الرغم من ذلك ،
فالصوت الذى يخاطبه بذلك اللقب يبدو مألوفاً ..

ولم يعترض (عصام) ، وإنما راح يفتح عييه في ببطء ،
محاولاً تمييز تلك الأحكامال المشبهة أمامه ..

وقى بطنه ، راحت الصورة تنضح ، وتكتمل ..
 لقد كان يوقد في فراش حتى ، وحوله طيب ، ومترضة ،
 والمشبه فيهم الأربعة الباقون (فارس) ، و (نس) ،
 و (جلال) ، و (طارق) ، و
 و (عادل محمود) ..

وتعلق بصر (عصام) بهذا الأخير ، وهو يقول في لحظة :
 — هذا لله على نجائك يا أخى .
 اجسم (عصام) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :
 — شكراً يا أخى العزيز .
 ثم تلفت حوله ، مستطرداً في غيرة :
 — أين أنا ؟

أجابته الطيب مبسماً :
 — في مستشفى (رأس العين) الحرنى أياها الملازم .. لقد
 نجوت من الموت بأعجوبة .
 غمغم (عصام) في دهشة :
 — الموت !!

ولجأة ، سار أمام عينية شريط سينمائي ، يعرض كل
 المشاهد التي تعرض لها منذ غاص إلى الأعماق ..

ومرة أخرى هتف في خفق :
 — الموت !!
 ثم هب من فراشه ، مستطرداً في غضب :
 — نعم .. لقد حاول أحدهم قتل ، وقتل الملازم (أمين)
 أيتها .

هتف (عادل) في لحظة :
 — وهل رأيته ؟.. هل رأيت ذلك القاتل ؟
 أجاهه (عصام) في انفعال :
 — نعم .. رأيته .
 ثم أشار إلى أحد المشبه فيهم الأربعة ، هائفاً في غضب :
 — جا هو ذا .

استدارت عيون الجميع إلى حيث يشير ، واتسعت عيونهم
 في دهشة ، فقد كان يشير إلى الضابط الوحيد الباقي ، وسط
 المشبه فيهم ..
 إلى (طارق) ..

٩ - المتهم ..

لوهلة ساد صمت رهيب داخل المكان ، وامطع وجهه
(طارق) ، ونخب في شدة ، حتى بات أشبه بوجوه
الموتى ..

ثم انطلق هتاف مدغور ..

هتاف (طارق) :

— أنا ؟

صاح (عصام) في غضب :

— نعم .. أنت .. أنت قتل (أيمن) ، وأنت نظفته أنا في

الظلام ، ثم حاولت قتل بعد ذلك .

هتف (طارق) في ذعر :

— ولكنني أنقذت حياتك ، وكان من المستحيل أن أقتل

(أيمن) فلقد لقي مصرعه في حجرة التوربينات الخلفية ، حيث

كنا نعملان معاً ، وكنت أنا في غرفة المحركات الأمامية ، ولو

سبحت إليكما ، لكان من الضروري أن يراى (فارس) ، أو

(نيس) ، أو (جلال) ، فلقد كانوا يعملون في حجرات
ملحقة بالممر الوحيد ، الذي يفود من عيى إليكما .

قال (عصام) في صرامة :

— يمكنك إطفاء مصباحك ، والعبور في حرص ..

صاح (طارق) في اوتباع :

— ولكنني لم أفعل .. لقد أنقذت حياتك ، ولو أنني أبغى

قتلك ، لتركك تموت .

هتف (عصام) في غنى :

— ومن قال إنك قد أنقذت حياتي ؟ .. لقد كنت تحاول

منعني من الصعود إلى السطح ، لأخطف في الأعماق .

لوح (طارق) بذراعيه ، وهو يهتف :

— خطأ .. لقد كنت أحاول منعك من قتل نفسك

بالانسداد الخوائي .

امتقع وجه (عصام) بغلة ، وهو يغمغم :

— ماذا ؟

تابع (طارق) في مراوغة :

— لو أنني أبغى قتلك ، ما حاولت منعك من الصعود إلى

السطح .. لقد كنت تصعد بسرعة كهيئة بتكوين فتحات

البيروجين في عروقك ، وقطعتك بانسداد القلب الهوائي ،
ولكنني أسرع أنتك ، حتى تصعد معاً تدريجياً ، وكنت
سأبداً لك مع استنشاق الهواء من أسطوانتي ، ولكنني
فوجئت بك فقاتلتني ، فصورت أن الرعب قد أصابك بانهار
عصبي ، كما يحدث مع الفرق عادة ، وحاولت إجبارك على
الخطوع ، إلا أنك فانتصتني في الخف ، وأقلت مني ، وصعدت
إلى السطح بسرعة .

عصام (عصام) في ارباع :

— يا إلهي !!

أكمل الطبيب الحديث ، قائلاً :

— ولقد أصابك الانسداد الهوائي ، فلا ريب أنك قد
شعرت بالألم في ذراعك اليسرى وأمتانك ، و

هتف (عصام) :

— هذا صحيح .

أجاب الطبيب في هدوء :

— إنها أعراض الأزمة القلبية ، المصاحبة للانسداد
الهوائي ، ولقد أمكننا إنقاذك ، بوضعك داخل حجرة الضغط
المرتفع ، وتخفيف الضغط عنك تدريجياً ، والولا إعاقه

(طارق) لك ، لكان الانسداد أضخم مما يمكننا معالجته ،
وللقيت خنقك حيناً .

شحب وجه (عصام) ، والتفت إلى (طارق) مغمضاً
في عجب :

— إنني أعلم .

لوح (طارق) بكفه ، وهو يقول :

— لا عليك .. إن اهتمامك كان يحمل بعض الحقيقة .

سأله (عصام) :

— أية حقيقة ؟

أشار (طارق) إلى الثلاثة الآخرين ، قائلاً في حزم :

— إن احداً قاتل .

لم يكذب الجميع بصرفون ، ويتركون (عادل)

و (عصام) وحدهما ، حتى انهم (عادل) ، ورتت على

كفف (عصام) بحان أبوي ، مغمضاً :

— حمداً لله على سلامتك يا بطل .

تهدد (عصام) ، مغمضاً :

— لقد كانت تجربة رهبة .



ثم (عصام) في شرود :

— لم أشك في هذا لحظة .

أوماً (عادل) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. ولقد راح ضحيتها (أيمن) المسكين .

ثم اعتدل ، وهو يستدرك في اهتمام :

— ولكنها تؤكد أننا نسير في الطريق الصحيح .

ثم (عصام) في شرود :

— لم أشك في هذا لحظة .

ثم التفت إلى (عادل) ، يسأله في اهتمام :

— من يمكن أن يكون القاتل في رأيك ؟

معدً (عادل) شفبه ، وقال :

— شخص يجيد الغوص .

سأله (عصام) في اهتمام :

— لماذا ؟

اعتدل (عادل) في مجلسه ، وقال في جدية :

— الوقت الذي استغرقه الأربعة تحت الماء ، يكفى بالكاد

لبنم كل منهم مهنته ، ولو أن أحدهم قد انفصل عن مكانه ،

لينجيه إليكما ، ويشبك معكما ، ثم يقتل (أيمن) ، وبم

مهنته الأصلية الرسمية في الوقت ذاته ، فمن الضروري أن

يكون من يجيدون الغوص .

أكمل (عصام) في حماس :

— وهو ليس (طارق) بالطبع ، فلو أراد قبل تركي
أصعد إلى السطح في سرعة ، وكان هذا يكفى لإنهاء حياتي ،
دون أن تشير إليه أصابع الاتهام .

عقد (عادل) حاجبيه مفكرًا ، قبل أن يغمغم :

— طبقًا للمنطق نفسه ، يمكننا استبعاد (جلال) أيضًا ،
فهو حديث العهد بالبحرية ، وهذا يعني أنه ينتظر إلى الخبرة
الكافية في فن الغوص ..

هتف (عصام) في انفعال :

— عظيم .. هذا يقصر دائرة البحث على رجلين .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في صرامة :

— (فارس) و (نيس) ..

وزفر في قوة ، مردفًا في حزم :

— وويل للخائن منهما .

بدأ (طارق) صامتًا مهمومًا ذلك المساء ، وهو يجلس في
قاعة الطعام بالمدرسة ، فاقترب منه (نيس) ، وغمغم في
تواثر :

— أما زلت تفكر في الملازم (أمين) يا سيدي ؟

رفع (طارق) عينيه إليه ، وتطلع إليه لحظة في شروء ، ثم
غمغم :

— بل في الملازم (عصام) يا (نيس) .

تلثت (نيس) حوله ، كما لو كان يخشى أن يراه أحد
بصحبة (طارق) ، قبل أن يجذب مقعدًا ، ويجلس إلى
جواره ، ويميل نحوه ، هامسًا :

— أنا أيضًا أشك في أمره يا سيدي .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في صرامة :

— وهذا الرجل ، الذي زاره في المستشفى ، ليس
شقيقه .

التفت إليه (طارق) في حركة حاذقة ، وسأله :

— كيف عرفت ؟

عاد (نيس) يتلثت حوله ، قبل أن يهمس :

— إنه يعمل في مباحث أمن الدولة .

ففر (طارق) فأة في دهشة عارمة ، وهو يغمغم :

— يا إلهي !! كيف عرفت هذا أيضًا ؟

أشار إلى صدره ، قائلاً :

— أنسيت يا سيدي أنسى و (فارس) كنا نعمل في
الخطابات الحربية ؟ .. وأنا كنا نعرف تقريرا كل العاملين
بها ؟ .. لقد شاركنا في عدّة عمليات ، تمت بالتعاون مع
المباحث العامة ، وفي إحدى العمليات كان هذا الشقيق
المزعوم يقودنا ، وهو رجل رهيب ، يُدعى (عادل محمود) .

غمغم (طارق) في ارتياح :

— يا إلهي !!

ثم أردف في جزع :

— هذا يعني أن

قاطعته (يس) في حزم :

— إن مهمّة (عصام) هذا هي مراقبتنا ، لصالح مباحث
أمن الدولة .

عقد (طارق) حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— ليس لمباحث أمن الدولة أيّة سلطات علينا .. إننا نتبع

وزارة الدفاع فحسب .

غمغم يا (يس) في ثبث :

— هذا لو أن مباحث أمن الدولة تعمل وحدها .

سأله في ذعر :

— ماذا تعني ؟

مال (يس) نحوه ، وغمغم في لهجة تمنح الأمر أبعادا
شديدة الخطورة والأهمية :

— أعتني أنه لو أن مباحث أمن الدولة تعمل بتكليف من

وزارة الدفاع ، فالأمر يتساوى .

واعتدل في هدوء ، مستطرذا في حزم :

— إنهم يعدّون لنا كمينًا .

اتسعت عينا (طارق) في ذعر ، ودون أن يتبادل كلمة

واحدة مع (يس) ، اتفقت أفكارهما على نقطة واحدة ..

إن وجود (عصام) أمر خطير ..

بل بالغ الخطورة ..

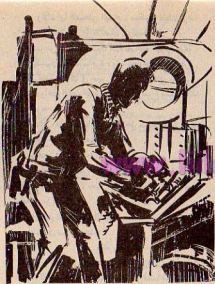


١٠ - محاولة قتل ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى ما بعد منتصف الليل بقليل ، عندما تسأل شخص ما من عناصر النوم ، غير سطح المدفئة ، إلى حجرة الاتصالات ، وراح يعالج راجعها بالة خاصة ، في مهارة بالغة ، حتى فتحه ، فدخل إلى الحجرة ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، وبقي صامتا مكانه عدة دقائق ، قبل أن يلتقط من جيبه مصباحا يدوياً صغيراً ، ويشعله ، ويدور به في أرجاء الحجرة ، قبل أن يتوقف عند أجهزة الاتصال الرئيسية ، ويعظم .

— مرّخى أيها الصحفي ، ما دمت تتقصص شخصية ضابط اتصالات ، فلتلق ختلك بالأسلوب نفسه .

وفي هدوء ، أخرج أدواته ، وشرع يعمل في سرعة ومهارة .. لقد انتزع واجهة جهاز الاتصال ، وحل مفتاح الكهرباء القريب منها ، ثم أخذ طرف السلك المكهرب ، وراح يؤصلهما بأزوار الجهاز في اهتمام شديد ، حتى انتهى ، فأعاد الواجهة إلى موقعها ، وأحكم تثبيتها ، وانسم في وحشية ، مصمفاً :



لقد انتزع واجهة جهاز الاتصال ، وحل مفتاح الكهرباء القريب منها ، ثم أخذ طرف السلك المكهرب ، وراح يؤصلهما بأزوار الجهاز ..

— والآن أيها الصلحى الهمام ، ستكون لديك فرصة واحدة ، للضغط على زر الاتصال ، وبعدها ..

أصدر من بين أسنانه صوتاً أشبه بصاعقة كهربية عيفة ، وعاد يتسم في شراسة ساحرة ، وهو يتجه نحو باب الحجر ، ووقف خلفه لحظات في خذلر ، ثم دفعه ، وغادر المكان في سرعة ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، وأسرع يسأل عائداً إلى حجرته ..

وهناك ، على بعد أمتار منه ، وداخل منطقة مظلمة ، رفع رجل آخر حاجبيه في دهشة ، وغمغم :

— عجباً !! .. ما الذى يفعله هذا هنا ؟
صمت لحظة ، محاولاً معرفة الجواب ، ثم لم يلبث أن هز كتفيه ، وكأنما الأمر لا يفتنيه ، وعاد يتطلع إلى البحر الممتد أمامه إلى ما لا نهاية ..

وفى تلك الليلة اتسم الشيطان ..

اتسم في سعادة وهناءة ..

شعر (عصام) بالسعادة ، وهو يعود إلى المدبرة في الصباح التالى ، حيث استقبله البحارة والضباط بالسعادة

والمرح ، وتعنى لو أنه يحمل رتبة ضابط بحرى حقاً ، ليعيش وسط هذا الجو المفعم بالهبة والتأجى والمرح .. ولم يكد هذا الحاطر يستقر في أعماقه ، حتى راح ينفذه في قوة ، عندما طالعه وجه القبطان الصارم ، وهو يقول في خشونة :

— أهلاً بعودتك أيها اللازم ..

كان (عصام) والثقا من أن القبطان لم يأت لتحيته فقط ، ولقد أيقن من صحة استنتاجه هذا ، عندما أضاف القبطان في صرامة :

— أريدك في قمرى الخاصة ..

رفع (عصام) يده بالتحية ، وهو يقول :

— على الفور ياسيدى ..

كاد يتفجر ضاحكاً ، على مرأى نظرات الإشفاق ، التى أحاطت به ، عندما انصرف القبطان ، فابتسم ، قائلاً في مرح :

— إنه لن يلهمنى حياً .. أليس كذلك ؟

ضحك الجميع لتعليقه ، على حين أسرع هو يلحق بالقبطان في قمرته ، ولم يكد يدلف إليها حتى استقبله القبطان بنظرة صارمة ، وهو يقول :

اعتدل القبطان ، وهو يحذجه بنظرة صارمة ، ثم أراح
 بوجهه عنه ، وقال لي صوت يحمل نبرات ساخطة :
 — اصبر أيها الملازم .. من سوء حظك أن قائد قاعدة
 (سفاجة) صديق شخصي لي ، ولقد التفت به أمس ، وهو
 في إجازته هنا ، وعندما جاء ذكر اسمك في الحديث ، أكد
 الرجل أنه لم يسمع به قط ، فلما قولك في هذا ؟
 قال (عصام) لي حزم :

— ليس من المفترض أن يعرف القائد أسماء كل جنوده .
 قال القبطان في جدّة :

— هكذا ؟
 ثم استدار يتطالع مرة أخرى ، فخر نافذة قصره ، وإن بدا
 من الواضح أن قبضته ، المضمومتين خلف ظهره ، تنقبض
 في شدّة وعصيّة ، قبل أن يقول ، في صوت بذل أقصى
 جهده : ليصفه بطابع الهدوء :
 — أهي مهمة رسمية ؟
 أجابه (عصام) في هدوء :
 — بالتأكيد .

التفت إليه القبطان في جدّة ، وبرقت عيناه ببريق الظفر ،
 وهو يقول :

— اجلس أيها الملازم ، أريد أن أعلّث إليك .
 جلس (عصام) في طاعة ، وظلّ يتطّلع إلى القبطان ،
 الذي وقف أمام نافذة قصره ، يتطّلع إلى البحر في هدوء ، قبل
 أن يقول في جدّة :
 — من أنت أيها الملازم ؟
 — أدهش السؤال (عصام) في شدّة ، فأجاب في
 ارتباك :

— الملازم (عصام عبد الحميد) يا سيدي .. ضابط
 اتصالات ، و

فأطعته القبطان ، وهو يستدير إليه في صرامة :
 — لست أسألك عن بياناتك المدوّنة هنا ، بل أسألك من
 أنت ؟ وهذا يغني الحقيقة .
 خفق قلب (عصام) في شدّة ، وهو يفهمم :
 — أيّة حقيقة يا سيدي ؟

ضرب القبطان سطح مكتبه بقبضته ، وهو يقول في
 عصيّة :
 — حقيقة من تكون ؟

عقد (عصام) حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :
 — ليست لديّ حقيقة ، سوى ما أقول يا سيدي .

— إذن فأنت تعرف .

اجسم (عصام) ، وهو يقول :

— أعرف بماذا يا سيدي ؟

أشار إليه القبطان ، وهو ينف في عصبية :

— بأنك هنا في مهمة رسمية .

هز (عصام) كتفيه ، وهو يقول :

— كل من يلتحق بالقوات المسلحة في مهمة رسمية

يا سيدي .

عقد القبطان حاجبيه في شدة ، وهو يقول :

— وخاصة من يعملون في المخابرات الحربية .

عاد (عصام) بهز كتفيه ، قائلاً في هدوء :

— بالتأكيد ، ولكنني لم أتشرف بالعمل معهم أبداً .

ازداد انعقاد حاجبي القبطان ، وهو يقول في غضب :

— هكذا ؟

ثم اعتدل مستطرداً في صرامة :

— اسمع أيها الملازم .. لقد حدث الكثير منذ التحقت

بمدمرتي ، منذ يومين فقط ، ومنه ما لم يحدث هنا أبداً ، مثل

سقوطك في البحر مثلاً ، ومقتل أحد الضباط ، في عملية غزو

عادية .. وأنا لست قليل الخبرة ، بحيث لا أنتبه إلى أن هذا ينبغي شيئاً واحداً .

وامتزج الخزم بالصراة في صوته ، وهو يردف :

— أنك تعمل لحساب جهة خاصة .

صمت (عصام) لحظات ، ثم قال في هدوء :

— لو أن هذا صحيح ، فأخته لا يسيء إلى أحد يا سيدي ،

فكلنا نعمل لصالح هذا الوطن .. أليس كذلك ؟

زأن الصمت لحظة ، قبل أن يقول القبطان في ضيق :

— بلى .

ثم عاودته عصبته ، وهو يلتقط من درج مكتبه ورقة

كبيرة ، قائلاً :

— ولكنك تقوم هنا بدور ضابط اتصال ، على كل

الأحوال .. أليس كذلك ؟

غمغم (عصام) في هدوء :

— هذا صحيح .

دفع القبطان الورقة أمامه ، وهو يقول :

— فلنخبر كفأءتك إذن .

تطلع (عصام) إلى الورقة المكتظة في ملف ، على حين
ارتفع صوت القبطان ، وهو يقول في حدة :
— سترسل كل هذه المعلومات إلى المدفئة (بهار) .
ثم مال نحو (عصام) ، مستطردًا في حزم :
— الآن .

تساول (عصام) الورقة ، ونهض يؤدي التحية
العسكرية ، مغتمًا :
— كما تأمر يا سيدي .

وأسرع يغادر قمرة القبطان ، وهو يشعر باضطراب
شديد ..
صحيح أنه قد تلقى دروسًا سريعة ، على أجهزة الاتصال ،
التابعة لمباحث أمن الدولة ، إلا أنه لم يبدأ عملاً حقيقيًا بعد ..
وهو يخشى أن يكشف نفسه بأي خطأ ..

وعلى الرغم من قلقه وتوتره ، فقد توجه إلى حجرة
الاتصالات ، وألقى نظرة على الرجال الثلاثة داخلها ،
وتبادل معهم التحية ، قبل أن يقول :

— أين (فارس) ؟

أجابه (جلال) في هدوء :

— لقد ذهب يستشق بعض الهواء على السطح .

اتسم (عصام) ، وقال وهو يجلس أمام جهاز الاتصال :

— يا لحسن حظي ! أظنني سأقتني ساعتين على الأقل ،

لنقل هذه الرسالة ، قبل أن ألحق به .

اتسم الرجال الثلاثة ، وتطلعوا إليه ، وهو يضغط أول

أزرار جهاز الاتصال ، و

ودوى الانفجار ..



١١ - التضارب ..

لم يكن الانفجار قوياً ، ولكن رد الفعل اللاحق له كان كذلك ..

لقد سمع الجميع صوت انفجار جهاز الاتصال ، وراوا اللعنان يتصاعد من الحجرة ، فساد المرح والمرج ، وهم يندفعون إليها من كل صوب ، وعشرة منهم يحملون أسطوانات إطفاء الحريق ..

واندفعت المادة الرغوية داخل الحجرة ، ثم اندفع الرجال ..

وتحت عملية الإنقاذ في سرعة ..

كان (عصام) أكثر المصابين ، إذ تلقى الانفجار كله في صدره ، وأصابته شظية بين ذراعه وجانب صدره الأيمن ، ودفعه الانفجار إلى الركن المقابل للحجرة ، حيث ارتطم به (طارق) ، وسقط الاثنان أرضاً ..

وأصيب (جلال) إصابة طفيفة في رأسه ، من جزاء

ارتطامه بالحائط ، على حين لم يصب (نس) بأكثر من صدمة المفاجأة ..

وبما كان البخارة ينفلون (عصام) إلى محفة خاصة ، لنقله إلى المستشفى البحري ، هتف أحدهم :

— إنه يتمتع بعارة ما ..

وأذى أذنه من قلم (عصام) ، وهو يقول :

— ماذا تريد يا سيادة الملازم ؟

هتف (عصام) بكلمة واحدة :

— (فارس) ..

ثم غاب عن الوعي ..

تحرك (عادل محمود) في عصبية بالغة ، أمام حجرة العمليات بالمستشفى البحري ، وهو يغمغم في غضب :

— سيدفع القاتل الثمن ، لو أصيب (عصام) بأذى مكروه .. أقسم أن أجعله يدفع الثمن .

كان يردد العبارة نفسها في عصبية ، حتى القرب منه زميله (مدحت) ، وقال في اهتمام :

— ألم ينادو حجرة العمليات بعد ؟

أجابه (عادل) في تولد :

— ليس بعد .

ثم سأله في اهتمام :

— ما نتيجة فحص جهاز الاتصال ؟

تهذه (مدحت) ، وهو يقول :

— كما توقعا .. تخريب متعمد .. لقد أوصل أحدهم

أسلاك الكهرباء بأضرار الجهاز .

غمغم (عادل) في غضب :

— الوغد ..

لم يكذب بلقي كلمته الغاضبة ، حتى غادر الطبيب حجرة

العمليات ، فالتفت إليه (عادل) و (مدحت) في ضللة ،

وهتف به الأول :

— كيف حاله يا دكتور ؟

هز الطبيب رأسه ، وهو يقول :

— لست أدري كيف أصف شقيقك يا سيد (عادل) ..

أقول إنه سيئ الحظ أم أقول إنه حسن الحظ ؟

سأله (عادل) في دهشة :

— ماذا تعني يا دكتور ؟

عاد الطبيب هز رأسه ، قائلاً :

— لقد كان من الطبيعي أن يقطعه الانفجار ، إلا أن إصابته

جاءت أقل من المفترض بكثير ، بحيث اقتصر الأمر على

استخراج شظية صغيرة ، دون أن تصاب أي من الشرايين

الرئيسية ، حتى أنه من الممكن أن يعود إلى عمله بعد أسبوع

واحد ، وهذا يُعد من حسن الحظ ، على حين تأق إصاباته

المذكورة ، والخطاطر التي تعرض لها ، خلال يومين فقط من

العمل ، في مضاف سوء الحظ ، فبم أصفه ؟

تهذه (عادل) في ارتياح ، وهو يقول :

— بالظولة .

حدق الطبيب في وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :

— ماذا ؟

أوماً (عادل) برأسه ، على نحو بدا بلا أي معنى خاص ،

وهو يقول :

— عندما تعلم قصته كلها ، ستصفه حتماً بالظولة أيها

الطبيب .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد في حزم :

— كما أصفه أنا الآن .

ابنم الأول في سخرية ، أخفاها الظلام ، وهو يقول :
— فعلت ماذا ؟

التفت إليه التالي ، وهو يقول في غضب :
— لماذا دثرت لقله ؟

لم لغب ابصامة الأول ، وهو يقول :

— من وضع في رأسك تلك الفكرة الحمقاء ؟

هتف التالي في غنى :

— لقد رأيتك .

تلاشت ابصامة الأول ، والعقد حاجباه في شراسة ، وهو

يلتفت إلى التالي ، مغمضاً :

— رأيتني ؟

أجابته التالي في جدّة :

— نعم رأيتك تتسلّل إلى حجرة الاتصالات ، بعد

متصف ليل أمس بقليل ، وتقضى هناك بعض الوقت ، ثم
تسلّل خارجاً .

زجر الأول ، وهو يقول في شراسة :

— لعلك أخطأت ، فأنا لم أفعل ذلك .

قال التالي في جدّة :

في تلك الليلة ، على ظهر المدفأة ، وقف أحد المشبه فيهم
يرتكب إلى حاجز السطح ، متطّلاً إلى البحر ، على ضوء
القمر ، حتى الحرب منه رجل أعرج ، ووقف إلى جواره
صامتاً ، ثم ارتكب بدوره إلى حاجز السطح ، وغمغم في توكّر :
— هل تشعر بالارتياح ؟

غمغم الأول في هدوء :

— بالتأكيد ، فالشهد بديع .

زأّن الصمت لحظة ، ثم قال التالي في جدّة :

— خاصة أنك قد انتصرت .

ابنم الأول في هدوء ، وهو يقول :

— وما وجه الانتصار ؟

أجابته التالي في توكّر :

— انتصرت على (عصام) .

هزّ الأول كتفيه ، وهو يقول في هدوء :

— وما شأنى به ؟.. لقد الطجر جهاز الاتصال في وجهه ،

و

قاطعه التالي في جدّة :

— لم فعلت ذلك ؟



وقبل أن يصرخ الثاني مستجداً ، أو يتراجع هارباً ، هزت المُنْذِية على صدره ، وغاصت في قلبه حتى مبقضها ..

— بل فعلته .. إننى لن أخطئ تعرفك .
زَان الصمت لحظة ، ثم قال الأول في برود ، يحمل نبرة شرسة :

— ما الذى تنوى أن تفعله إذن ؟

قال الثانى في صرامة :

— سأبلغ القبطان .

زَان الصمت لحظة أخرى ، ثم التفت الأول إلى الثانى ، وقال في سُخْرية مخيفة :

— هكذا ؟؟

ارتجف جسد الثانى ، على صوت حفيف مفاجئ ، جعله يهتف في دُعر :

— ماذا تنوى أن تفعل ؟

ابتسم الأول ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

— المنطقى يا صديقى .

وارتفعت قبضته ، وهى تحمل مُنْذِية حاذة ، وقبل أن يصرخ الثانى مستجداً ، أو يتراجع هارباً ، هزت المُنْذِية على صدره ، وغاصت في قلبه حتى مبقضها ..

استعاد (عصام) وعيه في منتصف الليل تقريباً ، وأدهشه به
كثيراً أنه ما يزال حيّاً ، وهو يتطّلع إلى المكان من حوله ، حتى
سمع صوتاً مرهقاً يقول :

— حلاً لله على سلامتك .

التفت يجيده ، فوفقت عيناه على (عادل) ، الذي بدا
شديد الإرهاق ، وقد نزع عنه سترته ، وأرغى رباط عنقه ،
فغمغم (عصام) :

— هل نجوت مرة أخرى ؟

ابتسم (عادل) ، وهو يغمغم :

— غمر الشقي بقي يا صديقي .

ابتسم (عصام) في ألم ، وهو يغمغم :

— يبدو أنك على حق .

زأن غليهما الصمت لحظة ، ثم قال (عادل) في اهتمام :

— لقد كان حادثاً مبعثداً .

مطّ (عصام) شفطه ، وهو يغمغم :

— لم يدهشني ذلك .

غمغم (عادل) :

— لقد بات من الواضح أن أمرك قد كشف يا (عصام) .

ابتسم (عصام) ، وأرغى جفنيه ، وهو يقول :

— هذا أيضاً لم يدهشني ، فلقد أمرتني منذ أوّل محاولة

قتل .

زأن الصمت لحظة أخرى ، قبل أن يقول (عادل) :

— لن تتعرّض لمحاولة قتل أخرى .

هزّ (عصام) كتفيه ، وهو يقول :

— من يدري ؟

تردّد (عادل) لحظة ، ثم قال :

— لقد ألفت مهنتك .

التفت جسّد (عصام) ، وهو يهتف في دُعر :

— ماذا ؟

أجابته (عادل) في حزم :

— اللّعب بأوراق مكشوفة لا يناسب عملياً

يا (عصام) ، وما دام أمرك قد كشف ، فهذا يغني الغناء

المهمّة .

ردّد (عصام) في مرارة :

— إلغاء المهمّة ؟

ثم لم تلبث عيناه أن برقها فجأة ، وهو يهتف :

— ولكنها لم تلغ وإنما انتهت بنجاح .

عقد (عادل) حاجيه وهو يقول :

— ماذا تعنى يا (عصام) ؟

هتف (عصام) فى حماس :

— لقد كشفت الحائق .. عرفت من هو .

حذق (عادل) فى وجهه بدهشول ، ثم انحنى بحسك كفيه

فى قوة ، وهو يهتف به :

— من هو يا (عصام) ؟ .. من هو ؟

أجابته (عصام) فى حزم :

— (فارس) .

تحدثت ملاح (عادل) بغتة ، وتراجع فى مقعده ، وهو

يعلمهم :

— (فارس) ؟ !

رمط شفتيه ، وعقد حاجيه لحظة ، وهو يسأل

(عصام) :

— ولماذا (فارس) بالذات ؟

أجابته (عصام) فى انفعال :

— لأن الشخص الذى دثر ذلك الحادث ، كان يعلم أن

الجهاز سيفجر ، لذا فقد ابتعد عن الحجرة كلها ، حتى
لا يصاب معاً ، والشخص الوحيد الذى لم يكن داخل
الحجرة ، عندما انفجر الجهاز ، هو (فارس) ، الذى احتفى
بحجة واهية ، ألا وهى استنشاق الهواء .

صمت (عادل) لحظة ، وهو يتطلع إلى (عصام) فى
هدوء ، ثم علمهم :

— نظرية معقولة تماماً ، لولا أن

سأله (عصام) فى توتر :

— لولا أن ماذا ؟

مط (عادل) شفتيه ، قائلاً :

— لولا أن (فارس) قد قبل منذ ساعة واحدة ، قطعة

قذبة فى قلبه مباشرة ..



١٢ - الشكوك ..

السمت عينا (عصام) في دُفول ، وهو يحدّق في وجه
(عادل) ، بعد أن ألقى عبارته الأخيرة ، وزان صمت مخيف
على الحجرة ، قبل أن يغمغم (عصام) :
- قبل ؟؟

واحتق صوت ، وتحشرج ، وهو يستطرد :
- من قبله ؟

تبهّد (عادل) ، وهو يقول :
- الحائن الحقيقي بالتأكيد .

غمغم (عصام) في خفق :
- اللعنة !

ثم اعتدل بفتة ، وهو يستطرد في انفعال :
- ولكن هذا يعني أن الشبهات تنحصر الآن في رجل
واحد .

برقت عينا (عادل) ، وهو يقول في حماس :
- (نيس) .

ثم هبّ من مقعده ، والدفع نحو باب الحجرة ، هاتفا :
- يبدو أننا لن نلقى المهمة بالفعل يا (عصام) .
وعجز بعينه ، وابسم ، قبل أن يستطرد :
- بل سنتبها .

وأغلق الباب خلفه في حماس ..

ارتكن (طارق) إلى حاجز سطح المدفأة ، يتطلع إلى
البحر ، الممتد أمامه إلى ما لا نهاية ، ولم يلتفت إلى (نيس) ،
الذي ارتكن إلى جواره في صمت ، حتى غمغم (نيس) في
هدوء :

- أظن أن السيد (عصام) لن يعود إلى هنا أبدا .

غمغم (طارق) :
- لماذا ؟

ابسم (نيس) ، وهو يقول :
- لأنه يعلم الآن أننا قد كشفنا أمره .
هزّ (طارق) كتفيه ، مغمغما :
- هذا شعور الجميع .
التفت إليه (نيس) ، يسأله في اهتمام :

— أتحنى أن الجميع يعلمون الآن ، أنه يعمل حساب
مباحث أمن الدولة ؟

مط (طارق) شفتيه ، وقال :

— ليس بالضرورة ، ولكنهم اتفون من أنه يعمل حساب
جهة ما .

ارتسمت ابتسامة ازلياح على شفتي (يس) ، وهو
يفهم :

— هذا أفضل .

ولفجأة ، انعقد حاجباه ، وهو ينطلق إلى حجرة ما ،
مغمضاً :

— انظر .

رفع (طارق) عينيه إلى حيث يشير (يس) ، ثم لم يلبث
حاجباه أن انعقدا بدورهما ، وهو يفهم في تولثر :

— عجباً !!.. أليس هذا هو شقيق (عصام) ؟
هتف (يس) في تولثر :

— إنه (عادل محمود) ، رجل المباحث العامة .
تراجع (طارق) ، وهو يقول في تولثر :

— ما الذي يفعله هنا ؟.. إنه يصعد إلى السطح ، ويتجه
إلينا مباشرة ، مع رجال البوليس الحرفي :

تجمد الاثنان في مكانهما ، حتى بلغتهما (عادل) ورجال
البوليس الحرفي ، وقال (عادل) في صرامة ، وهو يضع يده
على كتف (يس) :

— إنني ألقى القبض عليك .

هتف (يس) في دهشة :

— أنا ؟!.. بأية تهمة ؟

حاجبه (عادل) في صرامة :

— بتهمة التجسس والخيانة ، وإحراق خواص تابعة
للأسطول البحري .

صرخ (يس) :

— ماذا ؟

ثم تراجع في جدة ، وهو يستطرد صارخاً :

— إنكم تحاولون تلطيخ التهمة لي .. ولكنني لن أصح
لكم .. لن أصح لكم .

ولفجأة ، اندفع (يس) نحو الحاجز ، وقفز من أعلاه ،
وسقط في البحر ، وغاص في الأعماق ، فصاح (عادل) :

— الحقوا به .. اسعوه من القرار .

الفصل (جلال) فجأة عن الجميع ، واندفع نحو
الحاجز ، وقفز خلف (يس) ..

وغاب الاثنان طويلاً تحت سطح الماء ..

غابا حتى شعر (عادل) بالقلق ، وتصوّر أنهما قد لقيتا
خلفهما في أسفل ..

ثم ظهرا ..

ظهر (جلال) على السطح ، وهو يحيط عنق (يس)

بلدراعه في قوة ، وهذا الأخير فاقد الوعي ..

وبسرعة مذهشة ، تشف عن مهارة رجال البحرية المصرية

وبراعتهم ، تم انتشال الرجلين ، وحمل رجال البوليس الحرف

(يس) فاقد الوعي ، على حين صالحت (عادل) (جلال) ،

وهو يقول في إعجاب :

— لقد كنت رائعا يا (جلال) .

ابتسم (جلال) ، وهو يقول :

— كان من الضروري أن أفعل ذلك يا سيدي .

الترب القبطان من (عادل) ، وقال :

— إذن فأنت أحد رجال مباحث أمن الدولة !

أوما (عادل) برأسه إيجابيا ، فأخاف القبطان في اهتمام :

— وكذلك (عصام عبد الحميد) .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

— اسمه هو (عصام كامل) ، صحفي قسم الحوادث

الشهر ، الذي يوقع مقالاته باسم (ع × ٢) .

هتف (جلال)

— يا إلهي ... (عصام كامل) .. إني أتمنى أن ألتقي به

منذ زمن .

ثم توجه نحو القبطان ، مستطردا :

— سيدي .. هل تسمح لي بالذهاب لزيارته ، بعد تخفيف

ملابسي ؟

ابتسم القبطان ، وهو يقول :

— بلا شك .

ثم التفت إلى (عادل) ، قائلا :

— أما أنت يا سيدي (عادل) ، فأنا أدعوك لتناول قُدح من

الشاي ، فأنا في أشد الألفة لسماع القصة .

وابتسم مستطردا في لغة حليقة :

— القصة كلها ..

استمع القبطان إلى قصة (عادل) في شغف ، وابتسم

ابصامة واسعة في نهايتها ، وهو يقول :

بتر عبارته بغنة ، واتسعت عيناه في دُعر ، وهو يهتف :
— يا إلهي !!

وهب من مقعده ، صائحًا :

— لا إله من إلّحاق به (عصام) بأقصى سرعة .

هتف القبطان ، في جُزع :

— لماذا ؟

صاح به (عادل) في توتر :

— ألم تفهم بعد ؟.. لقد خدعنا الخائن جيفًا .

هتف القبطان في دُخول :

— خدعنا ١٢ .. أليس هو (يس) ؟

هتف (عادل) ، وهو يتدافع نحو الباب :

— كلا .. إنه ليس (يس) .. إنه آخر شخص كنا

نتوقعه .

تجمّد القبطان في مكانه لحظة في دُخول ، ثم لم يلبث أن

اندفع خلف (عادل) ، وهو يهتف في دهشة :

— مَنْ هو إذن ؟.. مَنْ ؟

ولكن (عادل) كان قد احتضن في الظلام ..

احتضن تمامًا ..

— رالع أيها العقيد .. إنني أشعر بالاطمئنان على وطني ،
كلما علمت بوجود أمتالك ، وأمتال (عصام) .
وأطلق ضحكة مرحة ، قبل أن يضيف :
— ولقد كانت عقوبة منك أن تستخدم هاونًا مثل
(عصام) .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

— لقد صار (عصام) أقرب إلى المخترفين بالفعل .

ضحك القبطان ، وهو يقول :

— ماذا لو كنت قد رجعت كفايته في الاتصالات إذن ؟

ابتسم (عادل) ، وهو يقول في ثقة :

— كنت ستجده كثيرًا إلى نحو ما ، فلقد تلقى تدريبًا

مكثفًا .

هزّ القبطان رأسه في خيرة ، وقال :

— عجبًا ... كيف يمكن لرجل أن يتقن عملاً ، لم يعلم به

إلا منذ يوم واحد ؟!

ضحك (عادل) ، وهو يقول :

— إنها مهارة خاصة ، فهناك من يتقن ربح العمل ،

ويطاهر بمعرفته كله ، وهناك من يتقنه كله ، ويطاهر بعدم

معرفته ، والوعان مطلوبان في عملنا يا سيدي ، مثل

ابسم (عصام) في هدوء ، عندما شاهد (جلال)
يدلف إلى حجرته بالمستشفى ، وقال :
— كيف حالتك يا عزيزي (جلال) ؟ كم يسعدني أن تأتي
لزيارتي !!

ابسم (جلال) ، وهو يقول :
— كان من الضروري أن أفعل يا أستاذ (عصام) ،
وخاصة بعد أن أصبح الجميع يعلمون حقيقة شخصيتك
عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول في توثر :
— شخصيتي ؟!

أجاب (جلال) في هدوء :
— نعم يا أستاذ (عصام) .. لقد حضر العقيد (عادل
محمود) إلى المدفئة ، وألقى القبض على (نس) بتهمة
الجاسوسية ، وكشف اللعبة كلها للجميع .
تهدد (عصام) في ارتياح ، وقال :
— وهل استسلم (نس) على الفور ؟

هز (جلال) رأسه نفياً ، وقال :
— كلا .. لقد قاوم ، وقفز إلى البحر ، ولكنني خلقت
به ، وفأنته في الأعماق ، ونجحت في إقفاده وعيه ، وصعدت
به إلى السطح ، وسلمته إلى رجال الشرطة العسكرية .
ابسم (عصام) ، وهو يقول :
— لقد فأتني ذلك المشهد ، كان ينبغي أن

وفجأة بر عبارته ، وهو يتحدث في (جلال) ، هائلاً :
— يا الهي !
بدت له ابسم (جلال) مخيفاً ، وهو يقول :
ماذا حدث يا أستاذ (عصام) ؟ .. لماذا تحدث في وجهي
هكذا ؟

تعرّج صوت (عصام) ، وهو يهتف :
— إذن قهر أنت ؟!
غمغم (جلال) في حجة أقرب إلى الشخيرة :
— أنا ؟! .. أنا ماذا يا أستاذ (عصام) ؟
هتف (عصام) في ارتياح :
— أنت الجاسوس الخائن .
أطلق (جلال) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :
— يا لكاء !! وكيف توصلت إلى ذلك ؟

بسيطة للغاية .. مجرد زيت طعام .. مادة دهنية صافية ، يكتفى
حقنها في أحد أوردتك لقتلك خلال ست أو سبع دقائق .

صاح (عصام) :

— أيها الوغد .

انقضّ عليه (جلال) فجأة ، وشلّ حركته وهو يقول في
سخرية :

— لا تحاول أيها الضحى الهنّام .. إنك أضعف كثيراً من
أن تقاوم ما أتوى فعله بك ، وأنا أكره أن أترك بك أية آثار
للمقاومة .

حاول (عصام) أن يقاوم في بؤس ، وهو يهتف :

— أيها الخائن الخليل ..

ولكن (جلال) كان على حق ..

لقد كان (عصام) أضعف كثيراً من أن يقاوم ..

ولقد رأى الإبرة القاتلة تتجه إلى عنقه ..

ورأى الموت على طرفها الحاذ ..

فجأة ، اقتحم العقيد (عادل محمود) الحجرة ..

اقتحمها على نحو جعله أشبه بالملك الحارس في عيسى

هتف (عصام) :

— من المفروض أنك لا تحيد القوس ، وأن (يس)

أكثر خبرة منك في هذا المجال ، ولكنك هزمت في قتال تحت

سطح الماء ، وهذا يعني أنك أكثر خبرة منه ، ولكنك تخفي

ذلك لسبب ما .. ليس السبب الذي استبعدناك من أجله ،

في حادث مقتل (أيمن) .. لقد كنت أنت .. أنت قتله ،

وأنت تظن أنه أنا .. وأنت حاولت قتل ثلاث مرّات .

ابتسم (جلال) في سخرية ، قائلاً :

— يا للذكاء !

وفي هدوء ، أخرج من جيبه مخفياً ، وهو يقول :

— لقد كنت أخشى ذكائك الشهير هذا ، منذ تعرّفك

على سطح المدبرة يا سيّد (عصام) .. كنت أخشى أن تجد

أنفسا في هذا المشهد .

هتف (عصام) في دُعر :

— ماذا ستفعل ؟

ابتسم (جلال) في شراسة ، وهو يلترب منه ، قائلاً :

— اطمن .. إليك لن تشعر بالألم .. هذا المخفّن يحوى

مادة طريفة ، منسّج لك انسداذاً بالقلب ، وهي مادة

(عصام) ، الذى اتعدت إبرة الخن عن عنقه فجأة ، ورأى
(جلال) يستدير نحو (عادل) ، ويتقش عليه في غمف ، ثم
رأى الاثنان يلتحمان في شدة ..

ولم يذم الالتحام أكثر من لحظات ، فقد حاول (جلال)
أن يلكم (عادل) في فكّه ، وفي معدته ، ولكن (عادل)
لغذى اللكمة الأولى بحركة براعة من رأسه ، ومال بجسده كله
جانبا ، متفاديا اللكمة الثانية ، ثم دار على غيبيه في براعة
مدهشة ، ولكم (جلال) في أنفه ، فحطمه في صوت
مسموع ، ثم لكّمه في فكّه ، وأطار ثلاثة من أسنانه ، وهو
يتف في غضب :

— أيها الجاسوس الخفي .
وعندما ترمخ (جلال) ، جاءت لكمة (عادل) الثالثة
لنطح به ، وتلقه أرضا ..

وأسرع (عادل) نحو (عصام) ، وهو يتف به في لفة :
— أنت بخير ؟

أوما (عصام) برأسه يجانبا في ارتياح ، وهو يقول :
— بالتأكيد .

ثم سأله في اهتمام :

— كيف كشفت أمره ؟

اجسم (عادل) ، وهو يقول :

— لقد أخطأ بإبراز مهارته في القوض أعمى ، في محاولة
منه للتظاهر بالوطنية والبطولة .

ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى (عصام) ، وهو
يقول :

— ولقد كشفته أنا أيضا بالوسيلة نفسها .

ضحك (عادل) ، وهو يقول :

— لقد أصبحت محرفا بحق يا (عصام) .

تهجد (عصام) في ارتياح ، وهو يقول :

— الفضل يعود إلى (عماد) و (غلا) ، وإليك .

أشار إليه (عادل) ، وهو يقول :

— بل إلى طبيعتك المقاتلة ، وإخلاصك ، وحبك
لوطنتك .

غمغم (عصام) ، وقد أثلج ذلك صدره :

— أنظن ذلك ؟

أجابته (عادل) في حماس :

— بالتأكيد .

ثم اجسم ، وهو يستنرد :

— ولكننى أظن أن هذه المهمة ستختلف تماماً عن كل
فضايك السابقة .

سأله (عصام) في دهشة :

— لماذا ؟

ابتسم (عادل) ، قائلاً :

— لأنه لن يمكنك نشرها .. ستكون إحدى فضايك

القادمة ، في عالم مكافحة التجسس .

مهللت أسارير (عصام) ، وهو يهف :

— هل مسند إلى مهام أخرى فيما بعد ؟

ابتسمت ابتسامة (عادل) ، وهو يقول :

— بالتأكيد .. ستفطرك مجموعة من القضايا الخطيرة

نشرها ، والتي لن تحمل أبداً توقيعك المألوف في صفحة

الحوادث .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول في اعتزاز :

— ولكنها ستحمل في حياق وقلبي نفس التوقيع .. توقيع

(ع × ٢) .

[تحت محمد الله]